الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي نور البشير البيض
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

القبائل و السلطة في بايلك الغرب خلال عهد الدايات (1081-1245هـ/ 1671-1830م)

مذكرة ماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث ضمن متطلبات ماستر أكاديمي

من إعداد الطالب:

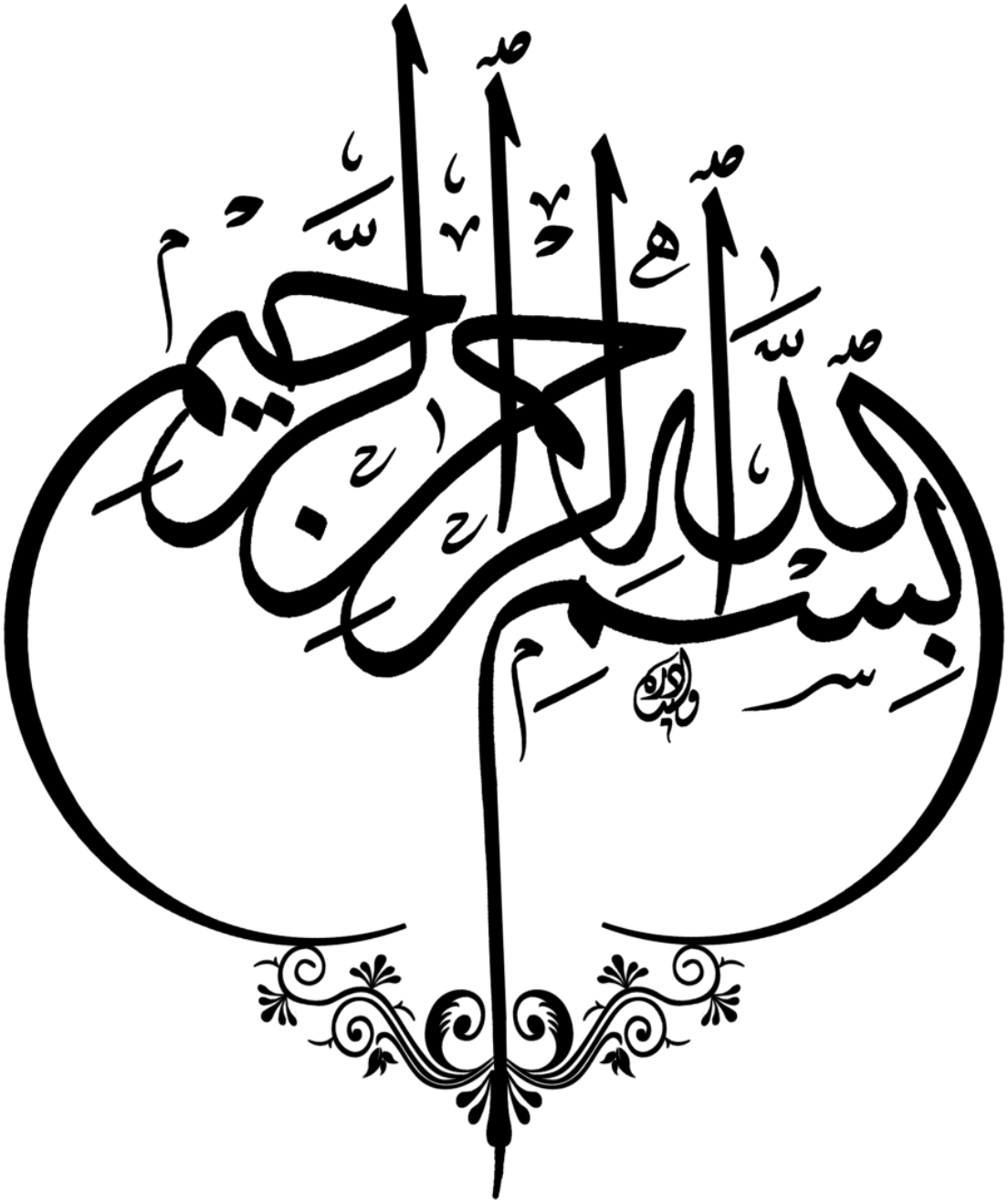
- صديقي بلال.

إشراف الأستاذ :

د/ داودي الأعـرج

أ.د/خلوفي بغداي	رئيسا	المركز الجامعي نوار البشير البيض
د/ داودي الأعـرج	مشرفا	المركز الجامعي نور البشير البيض
أ / مجروني الطيب	مناقشا	المركز الجامعي نور البشير البيض

السنة الجامعية :(1445-1446هـ/2024-2025م)


بسم الله الرحمن الرحيم



الشكر والعرفان

اللّهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد اذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى ولك الحمد عدد ما رزقت وعدد ما خلقت.

نشكر الله تعالى أن هدانا إلى دين الحق ويسر لنا سبل التعلم ومنّ علينا بعظيم فضله.

والصلاة و السلام على سيد الانبياء و خاتم المرسلين محمد الأمين صلى الله عليه، وعلى آله وسلم تسليما كثيرا ومن منطلق قوله :{من لم يشكر الناس لم يشكر الله}،

وبمنتهى الامتنان و العرفان بالجميل أتقدم بأسمى أبيات الشكر والتقدير، إلى المشرف عن هذا العمل الدكتور " داودي الأعرج " الذي لم يتوانى عن تقديم النصح والتوجيهات خلال الفترة التي عملت فيها معه، فأسأل الله أن يجازيه عني خير الجزاء،

وكل اساتذة المركز الجامعي نور البشير البَيض.



إهـــــداء

أهدي عملي هذا و ثمرة جهدي إلى من كانوا سندي في الحياة و رفقاء دربي طول هذه السنين إلى الوالدة وإلى أبي أطال الله عمرهما في الطاعة.

كما أهدي عملي هذا إلى كل عائلتي الذين منحوني القوة و الإرادة و تيسير الصعاب.

و إلى كل الأقارب و الأصدقاء.

أهديهم هذا العمل المتواضع سائلا المولى العلي القدير أن ينفعنا به و يمدنا بتوفيقه.

بـــلال

مقدمة

مقدمة:

بعدما أصبحت الجزائر تابعة للدولة العثمانية" إيالة الجزائر"، تعاقب على حكمها عدد من الولاة العثمانيين الذين حملوا ألقابا مختلفة، فكان أولهم البايلربايات وهم رياس البحر، الذين تولوا إدارة البلاد باسم السلطنة العثمانية، ثم انتقلت السلطة إلى الباشوات والآغاوات، الذين اعتمدوا على فرقة الإنكشارية في تثبيت سلطتهم، وصولا إلى الدايات الذين انتهت مرحلتهم بالخروج من الجزائر سنة 1830م، بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وتعتبر فترة الحكم العثماني في الجزائر، من اهم الفترات التاريخية التي عرفتها البلاد و منعرجا هاما في تاريخ الجزائر، حيث امتد هذا الحكم لأكثر من ثلاثة قرون، شهدت فيه الجزائر تحولات جذرية في مختلف المجالات، وقد عرفت هذه الفترة تركيبة حكم خاصة، تجسدت في تنظيم سياسي واداري وعسكري و اقتصادي وغيره، شكل الأساس الذي قامت عليه السلطة العثمانية في الجزائر، و الذي قسمت فيه البلاد الي ثلاثة بايلكات(الشرق، التيطري،الغرب)، و التي شكل فيها بايلك الغرب أهمية كبيرة في تاريخ الجزائر العثمانية، للعلاقات المختلفة التي ارتبطت به، داخليا و خارجيا، و هذا الذي دفعنا لدراسة هذا الموضوع الذي إندرج تحت عنوان القبائل و السلطة في بايلك الغرب خلال عهد الدايات (1671-1830).

أهمية الموضوع: تكمن أهمية هذا البحث في إثراء رصيدنا المعرفي وتقوية الزاد العلمي، بحيث يتجلى ذلك في معرفة علاقة القبائل بالسلطة في بايلك الغرب خلال عهد الدايات، وتأثيرها في الحياة السياسية والادارية وغيرها، في تلك المرحلة من الحكم العثماني في الجزائر.

ورغم الكتابات المحلية والأجنبية، إلا أنه تبقى هذه الدراسات تتطلب المزيد من البحث والدراسة، لمعرفة دور القبائل في بايلك الغرب خلال عهد الدايات، والعلاقات التي ربطتها بمختلف الجهات أنذاك.

دوافـع وأسـباب اختيـاري للموضـوع: كـان اختيـاري للموضـوع لاعتبـارات ذاتيـة وأخـرى موضـوعية.

الأسـباب الذاتيـة وتتمثـل فـي: ميولي الشخصـي إلـى دراسـة تـاريخ بايلك الغرب بالجزائر العثمانية ورغبتي للبحث في عنوان هذا الموضوع.

أمـا الأسـباب الموضـوعية تتمثـل فـي: السـعي إلـى تقديم دراسـة علميـة خاصـة بعلاقـة القبائل بالسلطة في بايلك الغرب في عهد الدايات ودورها وتأثيرها في السلطة.

إشكالية البحث:

كان للقبائل علاقة بالسلطة العثمانية في بايلك الغرب خلال عهد الدايات، و إعتبرها الحكام في الكثر من الأحيان أداة مساعدة لإرساء نظام الحكم و إستمراره في إيالة الجزائر، و من هنا نطرح الإشكالية التالية: ما هي مظاهر و علاقة القبائل بالسلطة فـي الجزائـر العثمانيـة، فـي بايلـك الغـرب خـلال عهـد الدايات ؟

تندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية منها :

ما هو موقف مختلف القبائل من السلطة العثمانية في بايلك الغرب و أثره على الأوضاع الداخلية؟

ما هو أثر القبائل في العلاقات الخارجية لبايلك الغرب ؟ ما هي مختلف العلاقات التي نسجها بايلك الغرب مع مختلف الجهات الغربية؟

منهج البحث:

لتحقيق اهداف الدراسة و الوصول الى أجوبة منطقية مقبولة للتساؤلات المطروحة، فقد اتبعت عدة مناهج منها:

المنهج التاريخي الوصفي: استخدمته في وصف واستعراض الاحداث وترتيبها حسب تسلسلها الزمني الكرنولوجي المتعلق بالفترة ومظاهرها.

المنهج التاريخي التحليلي: لمناقشة الأحداث ومحاولة الخروج منها بتقييم منطقي واحكام واستنتاجات موضوعية.

خطة البحث:

للإجابة عن الإشكالية المطروحة، اعتمدت خطة في بدايتها، مقدمة ، ثم فصل تمهيدي ، ثم فصلين، وفي نهايتها خاتمة.

الفصل التمهيدي، تحت عنوان دور القبيلة في السياسة العثمانية، و قسم الى ثلاثة فروع، الأول تناول القبائل قبيل الوجود العثماني في الجزائر ، و الثاني بعنوان السياسة المتبعة في بايلك الغرب من طرف الدولة العثمانية، و الثالث تناول : نظام القبيلة ودوره في الحكم العثماني في الجزائر العثمانية.

الفصل الأول: تحت عنوان موقف القبائل من السلطة وأثره على الأوضاع الداخلية، وقسم إلى ثلاث فروع، الأول تناول القبائل الموالية للسلطة (قبائل المخزن)، الثاني: القبائل المناوئة للسلطة، والثالث: القبائل الخاضعة للسلطة (القبائل الرعية).

أما الفصل الثاني :جاء تحت عنوان دور القبائل في العلاقات الخارجية لبايلك الغرب .وقسم إلى ثلاث فروع، الأول تناول علاقات بايلك الغرب مع دايات الجزائر وبايلك الشرق والتيطري، الثاني: علاقة بايلك الغرب مع إسبانيا، والثالث: علاقة بايلك الغرب مع فرنسا.

المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة: اعتمدت في إنجاز هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع باللغة العربية والأجنبية بالإضافة إلى بعض المجلات والأطروحات، من أهمها على سبيل المثال لا الحصر:

المصادر المحلية:

كتاب المرآة : لحمدان بن عثمان خوجة من أهم مصادر القرن التاسع عشر، وكتابه المرآة موجه للرأي العام الفرنسي بعد احتلال الجزائر، وهو مصدر حافل بعدة موضوعات جغرافية وتاريخية واجتماعية وسياسية أثرت الموضوع، ومن المصادر المهمة أيضا: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار**، التي تعتبر سجلا حافلا بالأحداث التي عرفتها الجزائر، منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى غاية فترة الاحتلال الفرنسي، فقد تناول أحوال الجزائريين السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أواخر العهد العثماني، وكذلك **كتاب طلوع سعد السعود في أخبار وهران وإسبانيا وفرنسا:** للآغا بن عودة المزاري، و الذي يعد مصدرا مهما يؤرخ لمخزن بايلك الغرب، خاصة وأن مؤلفه كان آغا لفرسان المخزن، فقد عاش بنفسه الأحداث التي نقلها، مثل ثورة درقاوة بالغرب الجزائري.

ومن المصادر الأجنبية:

- **Walsin Esterhazy:De la domination turque dans l'ancienne régence d'alger.**

تميزت كتابات العسكري والسن إسترهازي بعرض وضعية قبائل المخزن المتنوعة في الجزائر خلال الحكم العثماني، وكذلك مخزن وهران الذي خصه مؤلف منذ أواخر العهد الثماني وخلال حقبة الاستعمار الفرنسي.

أما المراجع باللغة العربية: اعتمدت على مجموعة من الكتب المهمة التي تناولت الموضوع بإثراء منها، **الدراسات القيمة** للمؤلف ناصرالدين سعيدوني منها، **ورقات جزائرية**، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائرفي العهد العثماني، ومؤلف **بعنوان دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث**، ومرجع آخر مهم مع المهدي بوعبدلي الجزائر في التاريخ– العهد العثماني– .

صعوبات البحث :

من الصعوبات التي اعترضتني في أثناء عملية البحث:

– رغم وفرة المصادر والمراجع الأجنبية والعربية المتعلقة بتاريخ الجزائر الحديث، إلا أن المعلومات قليلة عن علاقة مختلف القبائل بالسلطة العثمانية في الجزائر.

– ضيق الوقت لإنجاز بحث بكامل شروطه والإلمام بكل جوانبه.

الفصل التمهيدي: دور القبيلة في السياسة العثمانية

أولا: القبائل قبيل الوجود العثماني في الجزائر

ثانيا: السياسة المتبعة في بايلك الغرب من طرف الدولة العثمانية

ثالثا: نظام القبيلة ودوره في الحكم العثماني في الجزائر العثمانية

تعد أحسن طريقة لدارسة علاقة سكان الريف بالبايلك هي التعرض للتنظيم الاجتماعي الذي فرضته السلطات الحاكمة على السكان كي يتسنى للنظام الحاكم الهيمنة الفعلية على البلاد، لذلك قسم مجتمع بايلك الغرب إلى مجموعات وهي قبائل المخزن وقبائل الرعية، قبائل الحليفة والممتنعة.

أولا: القبائل قبيل الوجود العثماني في الجزائر

كانت قبائل الغرب قبل فتح وهران مقسمة إلى قسمين:

قبائل خاضعة للأسبان: لقد أدى الوجود الإسباني في وهران والمرسى الكبير والوجود العثماني في باقي الغرب، الى فرز بين القبائل، منها ما انضمت الى الأتراك العثمانيين، ومنها من انضمت الى الإسبان، أما القبائل الواقعة بين حدود الفاصلة بين الوجود العثماني والوجود الإسباني، فضلت مترددة بالتبعية الى أولئك أو الى هؤلاء، حسب ضعف وقوة كل جهة.

القبائل خاضعة للأسبان يطلق عليها "بالمغناطيس"، ويسميهم الأسبان عرب السلام (moros de Paz)، وهم يشكلون السرايا الأهلية لجيش ملك اسبانيا، يشبهون الصبايحية في لباسهم الواسع، ومنهم كرشل، شافع، حميان، أولاد عبد الله، وتنتمي هذه القبائل إلى قبيلتين كبيرتين هما بني راشد الزناتية وبني عامر العربية.

وقد كان من قبيلة بني عامر عبد الرحمن بن رضوان أول من انضم إلى الأسبان بعد أن تأكد من انهزام العثمانيين ومقتل عروج عام 1518 واستمر هذا التحالف بين الأسبان وبني عامر لمدة طويلة، هذا ما استخلصناه من الرسائل المتبادلة فيما بينهم، و التي يعود تاريخها إلى عام 942هـ/1535م"[1].

[1] L.Feraud.lettre arabes de l'epoque de l'occupation Espagnole en Algerie.in R.A 1873.n° 17.p318.

أما الفترة الأخيرة للوجود الاسباني في المنطقة فكانت بين قبيلتين خاضعتين هما قبيلة جاموز، والمنصور بن عوزر.

ب–قبائل خاضعة للعثمانيين: وهي تابعة لباي الغرب الجزائري، وهي الأكثر عددا نذكر منها : البرجية، مهاجر، سجرارة، بني شقران، الزمالة، الدواير، اليعقوبية.

أما بعد تحرير وهران، فيمكن أن نميز أربعة أصناف من الأهالي بحسب صلتهم بالحكام من جهة وعلاقة بعضهم ببعض من جهة أخرى:

– سكان متعاونون (قبائل المخزن)

–سكان خاضعون (قبائل الرعية)

– سكان متحالفون (الأحلاف).

– سكان ممتنعون (في المناطق النائية والجبلية).

ثانيا: السياسة المتبعة في بايلك الغرب من طرف الدولة العثمانية

اعتمدت الدولة الجزائرية في العهد العثماني بشكل أساسي على النظام العسكري. الذي يتوافق مع تدعيم الاتحادات والقبائل المنظمة لضمان التبعية البعيدة للإمبراطورية العثمانية، كان العنصر التركي قليل العدد وكانت قوة الدولة تأتي من السكان الأصليين، و هذا الذي جعل و دفع بالسلطة العثمانية في الجزائر، للتفكير في طريقة و نموذج حكم فعال، يسيطر به على زمام الأمور في الجزائر. نستطيع أن نقول أنّ التواجد العثماني في الجزائر، استطاع أن يفرض تنظيمه السياسي الخاص من خلال وضع شبكة إدارية تتوافق مع التوزيع القبلي الموجود مسبقًا والتي تناسبها تمامًا،

دون المساس أيضا بالوجه العام و الخاص بما يتوافق والنظام العام للقبيلة، فلقد تم احتلال المناصب الرئيسية بشكل رئيسي من قبل الوجهاء والجنود الأتراك، وبالمقابل كان للأعيان أو زعماء القبائل المحليين مسؤولية ضمان احترام السكان للسلطة التركية المجسدة في تنظيم "البايات"[1].يتمّ تثبيت العثمانيين في وظائف القادة (المفوضين) الذين يساعدهم الشيوخ (زعيم القبيلة[2])، والذين كان لديهم رؤساء الدوار [3]كمرؤوسين، قبل نظام "الدايّ" وفي ضل التقسيم الثلاثي للمنطقة (البيلربايات، الباشات، الأغوات)، فقد بقي النظام القبلي هو السائد وذلك من أجل جمع الضرائب والرسوم، إذ لم يتعد نظام التحكم نطاق المناطق المتاخمة للمدن الرئيسية. لتوسيع سلطتهم إلى جزء كبير من المنطقة، وناشد البايات قبائل معينة، أو عائلات محلية كبيرة، مقابل امتيازات معينة. هذه القبائل"المخزن" كان لها دور الرقابة وجباية الضرائب من قبائل "الرعايا" الأخرى لفائدة البايات[4].

ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن السلطة العسكرية والسياسية للنظام العثماني تتراجع كلمّا ابتعدوا عن المدن الكبرى؛ إلى الشمال أو إلى الجنوب، القبائل بالكاد دفعوا الضرائب التي فرضتها السلطة العثمانية.

[1] الباي: لقب يطلق على حكام الإيالات التي كانت تابعة للدولة العثمانية، مثل باي تونس، و يترجم الى معنى السيد او الامير.

[2] القبيلة هي قيمة إجتماعية وثقافية نشأت لضرورة معاشية، وبيئية، تقوم على أساس عصبية النسب وللمزيد من المعلومات حول الموضوع نشير إلى، عبد الله الغدامي، القبيلة والقبائلية هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، ط2، 2009.

[3] الدوار أولا وقبل كل شيئ يعبر عن وحدة ترابية مجالية، وثانيا هو علامة تعريفية لهويته، وهو من هذه الناحية يعبّر عن خلية قرابية أكثر منها قرابية، للمزيد من المعلومات ينظر، رحمة بورقية، **الدولة والسلطة والمجتمع**، دراسة في الثابت والمتحوّل في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة بيروت–لبنان، ط1، 1991، ص129.

[4] باية عائشة، **الأوضاع السياسية في الجزائر في العهد العثماني(1519–1830)**، مجلة متون، المجلد8، العدد4، جانفي 2017، ص344.

ثانيا: علاقة القبائل بالسلطة العثمانية في بايلك الغرب

التنظيم السياسي والعسكري العثماني اقترن بتنظيم إداري متوازن ، وكان يسير مع اقتصاد فلاحي محلي تقليدي يعتمد أساسًا على تكامل الأراضي. هناك كان السكان الجزائريون ريفيين بقوة: 95% ، وجاء الدخل[1] بشكل رئيسي من الزراعة وتربية الماشية.

وفي التل، حيث كان السكان مستقرين، كانت تمارس أعمال البستنة والتشجير وزراعة الحبوب. وفي السهول المرتفعة، كان السكان يتألفون بشكل رئيسي من البدو وكان أشباه البدو يمارسون تربية الأغنام وزراعة الحبوب. كما أن أراضي الريف المحيطة أو "العزل" كانت تنتمي إلى البايات (أراضي بيليك)، وتم تطويرها من قبل صغار المزارعين المحليين عند دفع الضريبة أو "حكر"[2]. والمدن التي يسكنها الأتراك بشكل رئيسي، وبعض الجزائريين من أصل عرقي أو من أصل حضري ولم يتطور كثيرا. وهذا لا يرجع فقط إلى إقتصاد السكان الأصليين الذين كانوا من النوع الزراعي ولكن أيضًا لأن الأتراك، الذين تم ضمان دخلهم في كثير من الأحيان، فإن تحصيل الضرائب بشكل مسيئ، لم يفعل شيئا لتطوير وتنويع اقتصاد البلاد.

ووضعية القبلية لعاصمة بايلك الغرب، جزء من النظام السياسي و الثقافي ، الذي يمارسه السكان الاصليون ، في مناطق معينة ، و يتميز بالتركيز على الهوية القبلية و التقاليد و العلاقات الاجتماعية القائمة على الوالاءات القبلية، في بايلك الغرب، كان الوضع القبلي يلعب دورا هاما في الحياة اليومية

[1] وليم سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر، عبد القادر زبادية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص27-28.

[2] قشاعي فلة: **النظام الضريبي في الريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1837-1771 م**، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1983، ص .76

حيث كان السكان يعيشون في قبائل مستقلة الى حد ما ، و يتمتعون ببعض السلطة في المناطق التي كانوا يقطنونها.

المدينة لم تكن تتمتع في ذلك الوقت بنفس القدرة على الجذب التي تتمتع بها اليوم. في بداية القرن الثامن عشر، مدينة قسنطينة، عاصمة البايلك[1] الشرقي وسوق إقليمية كبيرة، استطاعت أن تحقق جذب سكاني ملفت للإنتباه، وذلك من خلال العناصر الإجتماعية المتفاعلة في أريافها خصوصا بين الإتحادات القبلية، التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بأرضها التي لا تشكل فضاءها السياسي فحسب ولكن أيضًا موردها الاقتصادي الرئيسي. على الرغم من ذلك، تتعرف كل قبيلة على نفسها فيما يتعلق بمنطقة معينة محددة في الفضاء[2].

ثالثا: نظام القبيلة ودوره في الحكم العثماني في الجزائر العثمانية

تظهر العلاقات بين القبائل والدولة في كثير من الأحيان من زاوية علاقة المعارضة، وربما بعد ابن خلدون، تم نقل فكرة واسعة النطاق مفادها أن القبائل هي كيانات توسعية، وهدفها الوحيد هو السلطة المركزية. وعلى النقيض من هذه الفكرة، لا بد من التأكيد على أن التعايش بين الدولة والقبيلة على المدى الطويل ـ أحياناً في صيغة صراعية، وأحياناً أخرى في صيغة تعاونية ـ هو حقيقة راسخة إلى حد ما في أعمال مختلفة عن العالم العربي والإسلامي وفي المغرب، من القرن الرابع عشر إلى

[1] البايلك مصطلح تركي قديم أخذه الأتراك عن المغول والسلاجقة، وأول من تولى إمارة البايلك عند الأتراك هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية وذلك سنة 1280 م، للمزيد من المعلومات ينظر، فارس كعوان، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر مصطلحات: الباشا-الدنوش-البايلك كنموذج، مجلة مدارات تاريخية، المجلد1، عدد خاص، 2019.

[2] Ben Hounet, l'Algérie des tribus, le fait tribal dans la haut Sud-ouest Algérien contemporain, thèse nouveau rigime en vue de l'obtention du doctorat en anthropologie, EHESS, Paris, 2006, p27.

القرن التاسع عشر، يمكننا أن نرى أشكالاً من العلاقات بين القبائل والدول أو بين القبائل والقوى السياسية متكاملة ومعقدة إلى حد كبير. إن نظرة نقدية لبعض التحليلات للعلاقة بين القبائل والقوى السياسية في المغرب ما قبل الاستعمار – سواء الدول الملكية، أو الوصاية العثمانية، أو القوى السياسية الأخرى – يمكن أن تساعدنا على فهم وتقييم دور ومكانة القبيلة بشكل أفضل في إطار الدول المغاربية المعاصرة. ومن المهم في الواقع ألا ننسى أن العلاقات بين القبائل والدولة لا يمكن فهمها إلا جزئيا على المدى الطويل. ومن المؤكد أن القبائل نفسها تطورت وفقاً لمحتوى النظام السياسي وتحولاته.

في الجزائر ما قبل الاستعمار، وعلى نطاق أوسع، في المغرب ما قبل الاستعمار، شكلت القبيلة أحد العناصر الرئيسية في المنظمات السياسية المركزية أو الطرفية. سواء كانوا في السلطة المركزية نفسها (حالة السلالات الحاكمة) أو مرتبطين بها (نظام المخزن)، أو كانوا مستقلين عن الأخير في إدارة إقليم في حالة انشقاق (السيبة)، فإن أي محاولة لتحليل التاريخ السياسي للمغرب ما قبل الاستعمار تسلط الضوء بالضرورة على الدور الأساسي للقبائل. ومن الواضح أن أحد أول التحليلات النقدية التي يستخدمها علماء الاجتماع والمؤرخون لفهم موضوع العلاقة بين القبائل والقوى السياسية هو تحليل ابن خلدون. لقد أثرت دراسات هذا المؤلف إلى حد كبير على مناهج المؤرخين وعلماء الاجتماع في المغرب، وكان على هؤلاء على الأقل أن يضعوا أنفسهم في علاقة مع تحليلات المؤرخين وعلماء الاجتماع. ولعل أغلب العلماء الذين درسوا موضوع العلاقات بين القبائل والقوى السياسية في حالة المغرب ما قبل الاستعمار، مثل هذا الكاتب، قد فعلوا ذلك انطلاقا من السلطة السياسية باعتبارها قوة

مركزية في الأساس. إن نظرية الدورات التي وضعها ابن خلدون[1] هي في الواقع تحليل يشرح المركز، السلطة الملكية (الملك)، من المحيط (القبائل وخاصة روح العشيرة). وبهذا المعنى يجب أن نفهم تأكيده على أن الملكية، أو على وجه التحديد السلطة الملكية (الملك)، هي هدف روح العشيرة.

إن العلاقة بين القبائل والسلطة المركزية . وبشكل أدق بين القبائل والملكية . بالنسبة لابن خلدون، هي في الواقع جزء من الحركة الطبيعية التي تتجه من الحياة البدوية نحو الحياة المستقرة. ورغم أن البدو والحضر جماعات طبيعية، إلا أن كاتبنا يرى أن التمدن هو الهدف الذي يتجه إليه البدو. إن الحياة الحضرية المستقرة هي هدف الحضارة ونهاية الحضارة وبداية في الواقع، بينما يفسد الناس المستقرون بالترف، فإن البدو أقرب إلى حالة الطبيعة وبالتالي أبعد عن العادات السيئة. إن تفسير العلاقة بين القبائل والسلطة المركزية يتبع هذا النمط الذي يتجه من الحياة البدوية نحو الحياة المستقرة، وفي نهاية المطاف نحو السلطة الملكية.

إن الروح القَبَلية هي التي تسمح للقبيلة البدوية بالتوجه نحو السلطة المركزية، أو تأسيس نظام ملكي جديد، أو دعم النظام الملكي القائم. يرى ابن خلدون أن روح العشيرة وحدها هي التي تستطيع أن تمنح البيت والنبل الحقيقي. ويعتقد أنه يجد هذه الروح العشيرية في حالتها النقية بين البدو الذين حافظوا على نقاء دمائهم ولكن يجب فهم هذا القول بمعنى أن كل "روابط الدم" (وليس فقط تلك التي هي على الطريقة الأبوية) تشكل روابط مهمة، لأن ابن خلدون يعترف بأهمية كبيرة في روابط الرحم

[1] ويشير ابن خلدون أيضاً إلى أهمية الروح العشائرية. "إنه يولد القدرة على الدفاع عن النفس، والمقاومة، وحماية الذات، والمطالبة بالحقوق: وهي كلها أشياء مستحيلة على أي شخص فقد روحه القبلية

(صلة الأرحام) في التماسك القبلي. ومن ثم فإن السلطة الملكية لا يمكن أن تأتي أو تعتمد إلا على روح العشيرة لدى القبائل البدوية، والتي من شأنها أن تكون أقوى. فالملك عند ابن خلدون هو الهدف الذي تسمح الروح العشيرية بتحقيقه. وعندما يحقق الأخير هدفه، فإن القبيلة المعنية تحكم إما بالقوة مباشرة أو بمساعدة السلالة القائمة[1].

وفي استمرارية هذه الحركة التي يراها مؤلفنا طبيعية، والتي تقترب منا من دورة الحياة (الولادة، الأوج، الانحدار)، تأتي لحظة الانحدار لا محالة. في الواقع، بمجرد وصول القبيلة إلى السلطة أو اقترابها منها، فإنها تنغمس في الترف والرفاهية، أو باختصار، حياة مستقرة. وتفقد الحياة الصحراوية القاسية تأثيرها، وكما يلاحظ ابن خلدون: "تضعف روح العشيرة والشجاعة ونتيجة لذلك، لم تعد القبيلة قادرة على حماية نفسها، واستسلمت لقبيلة أخرى ذات روح عشيرة أقوى.

وبمقارنة ابن خلدون بإميل دوركهايم، قدر إرنست جيلنر (1981) أن هذه الحركة من الحياة البدوية إلى الحياة المستقرة في الأول . والتي يقارنها بالانتقال بين التضامن الميكانيكي والتضامن العضوي، في حين يتحدث ابن خلدون عن الحركة بين "مجموعتين طبيعيتين"، دون تحليلها باعتبارها تعقيداً للعمل الاجتماعي . من شأنها أن تؤدي إلى التفكك الاجتماعي أو على الأقل إضعاف التماسك الاجتماعي. ويعتقد أيضًا أن هذه الحركة، بالنسبة لإميل دوركهايم، من شأنها، على العكس من ذلك، أن تنتج تماسكًا اجتماعيًا في شكل تضامن عضوي. ولكن ابن خلدون يزعم ببساطة أن الحياة

[1] بن فرج الله بختة، **اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية إجتماعية عربية**، مجلة الدراسات والبحوث الإجتماعية، العدد21، 2017، ص16.

البدوية[1] تنتج تماسكاً أكبر من الحياة المستقرة، وأن روح القبيلة أقوى هناك. بهذا المعنى، لم يزعم إميل دوركهايم قط أن التضامن العضوي ينتج تماسكاً أكبر من التضامن الميكانيكي.

وبعيداً عن طبيعة التماسك الاجتماعي الذي أحدثته هذه الحركة (من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار)، فإن نهج ابن خلدون يطرح بعض الإشكاليات فيما يتصل بتقييم الدور السياسي للقبائل. أولا، يُنظر إلى النزعة العشائرية على أنها توسعية في الأساس ودون إنكار حقيقة مفادها أن بعض القبائل ربما كانت لديها أهداف توسعية، ولأسباب محددة للغاية يمكن تفسيرها من حيث الظروف التاريخية، يبدو لي من المبالغة القول بأن النظام القبلي توسعي في الأساس. ولعل ابن خلدون عندما يتحدث عن الروح العشائرية كوسيلة دفاعية يكون أقرب إلى الواقع، ونحن نحتفظ من جانبنا بهذا الجانب: الجانب الذي يريد من الروح العشائرية أن تولد قبل كل شيء "القدرة على الدفاع عن النفس، والمقاومة، وحماية الذات، وإثبات الحقوق".

وعلاوة على ذلك فإن تأكيد ابن خلدون على أن الملكية هي غاية الروح العشائرية يعني ضمناً أن القبيلة لا معنى لها إلا في علاقتها بالسلطة المركزية. ويبدو لي أنه بعده، وفي أعقابه، كان هناك تركيز مفرط على مسألة العلاقة بين القبائل والسلطة المركزية، مع فكرة مفادها أن القبائل ليس لديها

[1] يشير في الواقع إلى أن "السهول الزراعية كانت خاضعة لسيطرة قادة المرتزقة الهلاليين لفترة طويلة، الذين استمرت سلطتهم في التوطيد؛ ولكن منذ زمن بعيد، لم تعد الحرب مهنتهم، وضعف ارتباطهم بالسلطة، والأهم من ذلك كله، تراجعت الزراعة نفسها؛ ولو كانت لديهم إمكانية أن يصبحوا زعماء إقطاعيين بالمعنى التقليدي للكلمة، لاختفت هذه الإمكانية بسرعة؛ لذا، لم يعد المهم السيطرة على الأرض، بل السيطرة على الناس. بأي وسيلة؟ باستخدام البنية القبلية الهلالية كشكل من أشكال التنظيم السياسي. اندمج السكان المحليون بالضرورة في مختلف التقسيمات القبلية: كانت المادة البشرية هي التي ملأت إطارًا رسميًا كان الوحيد المتاح في ذلك الوقت. أصبح هذا الهيكل الهلالي، سواءً بيولوجيًا أو اجتماعيًا، في جوهره شكلاً من أشكال الإدارة، أي شكلًا من أشكال الحكم المحلي. وبهذه الطريقة، يمكن أن يوفر في أي وقت أساسًا للإقطاع، إذا أعادت ظروف السلام النسبي الزراعة إلى مستوى معين من الانتظام والكثافة، وإذا نجح تعزيز السلطة المركزية في فرض عقلية وسلوك و... على الزعماء. حالة من الطاعة والخدمة.

سوى هدف السيطرة على السلطة المركزية. إذا كان من الممكن استخدام روح العشيرة لأغراض توسعية أو في الاستيلاء على السلطة المركزية[1].

حاول لهواري عدي (1985)، من وجهة نظر مادية، تقديم نظرة عامة عن المجتمع الجزائري عشية الإنزال الفرنسي. وهنا أيضًا، تتم معالجة العلاقات بين القبائل والسلطة المركزية، في ظل نظام الحماية العثماني (وحتى قبل ذلك). وفي الشمال، تسيطر قوات الوصاية التركية، التي تتألف من عدد صغير نسبيا من الأفراد، من خلال ما يسمى بالقبائل "المخزنية". وفي المقابل، تستفيد هذه البلدان من التدابير المواتية، وخاصة في ما يتصل بالضرائب. أما القبائل التي لا تخضع للسلطة المركزية فهي قبائل بلاد السيبة. بين قبائل المخزن وبلاد السيبة، وكذلك بين قبائل السهوب والمناطق الصحراوية والشمالية، كان هناك تبادل اقتصادي مثمر، يعتمد بشكل أساسي على منتجات الرعي الزراعي (وبشكل أكثر تحديدا الرعي في المناطق السهوب والصحراوية). ويؤكد لهواري عدي بطريقته الخاصة أن هذا التوازن الاقتصادي كان مهددًا من قبل الوصاية التي جمعت المزيد والمزيد من الضرائب[2].

وأنه في عشية الإنزال الفرنسي كان هناك استياء حقيقي ضد السلطة المركزية، فضلاً عن رغبة قوية في الحكم الذاتي السياسي من جانب القبائل.

وإذا كانت هذه التحليلات تنير لنا الطريق بشأن الدور السياسي للقبائل، فإن النموذج نفسه للعلاقة بين القبيلة والقوى السياسية يظهر عند هؤلاء المؤلفين كما يظهر عند ابن خلدون من زاوية العلاقة بين

[1] شبلي ربيعة، مزي عبد القادر، السلطة والقبيلة من خلال كتاب المقدمة لعبد الرحمن ابن خلدون، الساورة للدراسات الإنسانية والإجتماعية، العدد6، 2017، ص20-21.

[2] Lahouari Add, Le système de pouvoir en Algérie, son origine et ses évolutions, Confluences Méditerranée Année : 2020, p103-113.

القبيلة والسلطة المركزية. وهذا يعني أن القبائل لا يتم تحليلها إلا من حيث الدور الذي تلعبه في علاقتها بالسلطة المركزية، سواء كانت في السلطة المركزية، أو مرتبطة بها، أو حتى معارضة لها. إن التمييز بين قبائل المخزن، وقبائل الغارمة (الخاضعة للضرائب)، وقبائل بلاد السيبة، هو أيضاً وظيفة العلاقة التي تربط القبائل بالسلطة المركزية، ويمكن تفسير هذا التحيز، من بين أمور أخرى، بعدم استقرار القوى السياسية المركزية في الجزائر (وهو أحد الأسئلة الرئيسية التي طرحها المؤرخون وعلماء الاجتماع على أنفسهم)، فضلاً عن البيانات التاريخية المتاحة. والواقع أن ابن خلدون، ونحن أنفسنا اليوم، نعرف عن القوى المركزية للسلالات والحماية (التي تركت لنا وثائق)، أكثر مما نعرف عن القبائل نفسها. علاوة على ذلك، كان ابن خلدون مهتمًا بشكل خاص بموضوع السلطة المركزية بقدر ما كان قريبًا منها (خاصة بسبب مسيرته المهنية)[1].

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص129.

الفصل الأول:

موقف القبائل من السلطة وأثره على الأوضاع الداخلية

أولا: القبائل الموالية للسلطة (قبائل المخزن)

ثانيا: القبائل المناوئة للسلطة

ثالثا :القبائل الخاضعة للسلطة.

يشكل سكان الأرياف غالبية سكان الإيالة أذ تزيد نسبتهم 95% من مجموع السكان و يمكن تصنيفهم حسب صلتهم بالحكام و علاقتهم ببعضهم إلى قبائل خاضعة للحكومة وهم قبائل الرعية وقبائل متعاونة مع السلطة و هم قبائل المخزن، وأخرى مستقلة عن السلطة[1].

أولا: القبائل الموالية للسلطة (قبائل المخزن)

سعت السلطة المركزية في بايلك الغرب إلى توسيع نفوذها خارج النطاق الحضري، بهدف ترسيخ سلطتها على المدن والمناطق الريفية على حد سواء، وتعاظم هذا الطموح خلال القرن الثامن عشر عندما أدركت السلطة المركزية الطبيعة القبلية المتجذرة في ولاياتها، إلا أن جهود التوسع هذه واجهت مقاومة مستمرة من المناطق الريفية، مكّنتها مواقعها الجغرافية الاستراتيجية من العمل كحاجزٍ ضد السيطرة المركزية، ومن أبرز هذه القبائل القبائل المخزنية، والتي شكّلت هويتها الجماعية وعاداتها القبلية العمود الفقري لنظام اجتماعي ريفي لم يستسلم بسهولة للحكم الخارجي، فنجد منها: الدوائر والبحايثية، الكراطة، الزمالة، الغرابة، البرجية، الحشم، المكاحلية[2].

إن "غياب وحضور الإدارة المركزية في ريف المغرب ما قبل الاستعمار، من شأنه أن يترجم إلى تناوب بين مشاهد التفاوض بين المتساوين، حيث تغازل الدولة السكان المحليين، وخاصة أعيانهم، ومشاهد المواجهة، عندما تنوي تأكيد مطالبها، وخاصة المالية، ويصبح هذا التناقض واضحا بشكل خاص عندما ننظر إلى مؤسسة جولات التحصيل. وقد كان وصول الأرتال الاستكشافية المسؤولة عن

[1] صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي(1514م- 1830م)**، دط، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 354.

[2] دغموش كاميليا، **قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية(1509-1792)**، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث (غير منشورة)، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص95-103.

توفير الموارد لجهاز الدولة، المخزن، من مختلف القوى المتعاقبة، يشكل في كل مكان في المناطق الريفية اللحظة المركزية للقاء بين الملك ورعيته، حيث يتجلى الترابط بينهما، وحيث تتكرر التحالفات والروابط مع الشهرة المحلية[1].

ولكن هذه هي الضرائب الباهظة، التي يفرضها عملاء المخزن على موارد المجتمعات المحلية الخاضعة لتقلبات اقتصاد الكفاف الهش. وهذا أيضًا، يمثل لحظة أزمة مجتمعية حيث يصبح تأكيد سلطة الدولة غير قابل للفصل عن العمل العنيف، المستخدم لمواجهة المقاومة المحلية، مما يؤدي إلى النهب والفوضى والصراع المسلح.

في الواقع هناك غموض عميق في تصور سلطات الدولة من قبل السكان الريفيين في بايلك الغرب الحديث بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر[2]: من ناحية أخرى، تشير المصادر الداخلية المتاحة لنا، حتى لو كانت تأتي من النخب المتعلمة، والحلفاء المحتملين للدولة، إلى وجود إجماع واسع النطاق حول رؤية مؤسسة للسلطة: نحن ندرك الحاجة إلى أداء قسم الولاء لشخصية الحاكم السيادي الذي يسميه الخطاب العلمي الإسلامي الإمام، وقد تم تسليط الضوء بالفعل على الأسس الدينية لهذا التمثيل ولكن من ناحية أخرى، يجدر التأكيد على أنه على النقيض من الرؤية الموروثة من التأريخ الاستعماري حول ثنائية بين المناطق الخاضعة للسيادة (بلاد المخزن) وتلك التي تتحدى

[1] محمد السعيد عقيب، عمر لمقدم، **قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة العثمانية بالسكان (إيالة الجزائر)**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، مجلد9، العدد2، 2018، ص108.

[2] كمال بن صحراوي، **أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ الحديث (غير منشورة)، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013، ص 148، 149.

سلطته (بلاد السيبة)، فإن سكان المناطق البعيدة عن مراكز الدولة تصوروا أيضًا هياكلهم السياسية في إطار نظرية السيادة هذه[1].

إن المصادر نفسها التي تنقل الخطاب الشرعي حول وجوب البيعة للإمام تصف صراحة عمل الدولة في جباية الضرائب بأنه ظلم، ونوع من التعسف (الظلم). ويذهبون إلى حد إجراء مقارنة صريحة مع النهب الذي ارتكبه البدو، القوة السياسية الأخرى التي كانت تهز ريف البايلك الغربي منذ القرن الخامس عشر. وبالمثل، إذا كان فقهاء المسلمين في ذلك الوقت يحثون السكان في فتاواهم على الامتثال للمطالب المالية للإمام، فإن الحجة المقدمة ليست هي واجب الإخلاص للحاكم الشرعي، بل الخوف من العواقب الضارة لرفض من شأنه أن يعرض المصلحة العامة للمجتمع للخطر ويثير الاضطرابات[2].

يعكس هذا الموقف المبدأ العام المتمثل في تفضيل "الاستبداد" على "الفوضى"، والذي ترسخ في الفكر السياسي للإسلام السني خلال العصور الوسطى، لكن صياغته الفقهية في مجموعات الفتاوى تُحيلنا إلى عمليات تفاوض ومواجهة ملموسة، يتدخل فيها فقهاء المسلمين كفاعل في التنظيم المعياري. ويزداد هذا الأمر صدقًا عندما ينتمي مُصدرو الفتاوى أنفسهم إلى مجتمعات خاضعة لرهن

[1] مصطفى خروس،" **القبائل المحلية تحت سلطة الخيمة العثمانية وصناعة التخلف**"، مجلة العلوم وآفاق المعارف، مجلد3، عدد1، 2023، ص61.

[2] بشري حسني العجل، **الخراج والضريبة المعاصرة في الفقه الإسلامي المعاصر**، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، قسم الدراسات الإسلامية والشريعة، جامعة لبنان، 2006، ص200-202.

الضرائب ومنذ ذلك الحين، أصبحت كتاباتهم مصدرًا رئيسيًا لدراسة الديناميكيات المتناقضة للقاء بين الدولة ما قبل الاستعمار وسكان الريف[1].

صحيح أنه إذا تجاهلنا هوامش الصحراء الغربية الجزائرية، فإن الجزء الأعظم من المنطقة يفلت من النفوذ المباشر للقوى الإمبريالية في ذلك الوقت، الإمبراطورية العثمانية والسلاطين المغاربة. في الواقع، داخل الدوائر المتعلمة في الصحراء، كانت مسألة كيفية معالجة "غياب الإمام" على المستوى المحلي موضع نقاش ساخن، وخاصة في المنطقة التي يسكنها البدو الناطقون باللهجة الزناتية، والحل الذي يتبناه فقهاء السلطة في الغالب هو الحل الذي يعترف بحق كبار رجال الدين المحليين في ممارسة صلاحيات الحاكم الشرعي، مثل تنصيب القضاة المسلمين وبالتالي إضفاء الشرعية على الشكلين الرئيسيين للسلطة السياسية في المنطقة: استبداد "الرجل القوي" (المغالب) وأوليغارشية مجالس أعيان المجتمع[2].

يمكننا تصنيف قبائل المخزن إلى ثلاث أنواع هي: القبائل المحلية العريقة التي كانت تحتل الأراضي الخصبة، الواقعة في المناطق التلية أو القريبة من المدن وقد جعلها موقعها عرضة للحملات العسكرية وسهلة المنال، ولهذا فضلت من البداية التعامل مع العثمانيين مقابل الاحتفاظ بأراضيها والانتفاع ببعض الامتيازات.

---

[1] سعاد عقاد،" **الجماعات الفلاحية والسلطة العثمانية في الجزائر(1519-1830)**" ، دار السلطان أنموذجا"، مجلة المرآة، مخبر الدراسات المغاربية، النخب وبناء الدولة الوطنية، ع،5 جامعة وهران،1 أحمد بن بلة، جوان 2007م، الجزائر، ص120-130.

[2] عبد القادر بلغيث، **الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014 م، ص50-58.

هناك قبائل شكلها الأتراك العثمانيين من عناصر غير متجانسة تنحدر من أصول مختلفة وكان معظم أفراد هذه القبائل الاصطناعية من مغامرين، وتغتنم الفرص والفارين من قبائلهم الأصلية، تفاديا لمبدأ الانتقام، الذي اتخذه ضدهم وكانت الإدارة العثمانية تجند من تلك القبائل فرق الزمالة والقبائل والعبيد.

أما الصنف الثالث من قبائل المخزن فكان يتكون من بعض القبائل المخزن فكان يتكون من بعض القبائل الممتنعة أو المستقلة، التي أرغمت عن طريق القوة على الدخول ضمن قبائل المخزن، إلا أنها لم تكن تلتزم بالوضع الذي فرض عليها، إذ كلما شعرت بضعف الإدارة تقوم بشق عصا الطاعة وتتخلى عن وضعها المخزني لتعود لوضعها الأصلي[1].

تتمثل الوظيفة الأساسية للقبائل المخزنية في ضمان الأمن للبلاد، وذلك يتضح من خلال تمركزها حول المواقع الاستراتيجية والحيوية، فالمتتبع لطريق السلطان في قسمه الغربي يجد العديد من قبائل المخزن مستقرة حوله، إذ تتمركز قبيلة بحلوان بالقرب من ملیانة وأولاد الصحاري قرب سد الشلف، وقبيلة بن يحي قرب وادي الزوينة[2].

[1] عبد القادر بلغيث ، المرجع السابق، ص 97.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العثماني** ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985، ص 106.

ذكر المزاري "أن مخزن وهران ينقسم إلى قسمين وهما المخزن الشرقي والمخزن الغربي فالشرقي فهو نجع المكاحلية، وأولاد سيدي العربي وصبيح أولاد العباس، وغيرهم من أهل النواحي الشرقية من أولاد مينا إلى واد الشلف، أما القسم الغربي هو نجع الدوایر والزمالة والغرابة والبرجية[1].

وعليه يمكننا تمييز ثلاث فترات متعاقبة تم من خلالها إقرار قبائل المخزن بالمنطقة الغربية للجزائر تحكمت فيها الظروف التي عاشتها المنطقة[2]:

. **الفترة الأولى:** تعود إلى الثلث الأول من القرن السادس عشر، وقد تمكن الأتراك من مصادرة الأراضي كقبيلة الامحال بالسهول الخصبة، بما في ذلك مدينتي أرزيو، مستغانم، و قد استقرت قبائل المخزن في الأراضي المصادرة و بذلك قللت من الخطر الاسباني بالمنطقة.

. **الفترة الثانية** : التي استقرت فيها قبائل المخزن بالسهول الوهرانية، كانت في نهاية القرن 18م، وتمت فيها مصادرة أراضي عشائر بني عامر و فليته، عقابا لمساعدتها للأسبان و بذلك استطاع الباي مصطفى بشلاغم توطين الزمالة و الدوایر من جديد بالسهول القريبة من وهران[3].

. **الفترة الثالثة:** ارتبطت بطرد الأسبان من وهران سنة 1792 للمرة الثانية والأخيرة، وقد بادر الباي محمد الكبير أثناءها إلى إقرار مجموعة الدوایر والزمالة بالجهات المحيطة بوهران مباشرة، بعد أن أحس بالحاجة إلى خلق قوة محلية تشد ساعده في صد هجمات الدرقاوة ودسائس المغاربة4.

---

[1] بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق يحي بوعزيز،ج1، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1990، ص31.

[2] كاميلية دغموش، المرجع السابق، ص 98.

[3] ناصر الدين سعيدوني، " **دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر**"، مجلة الأصالة، عدد 11، 1976، ص61.

اعتمد الأتراك العثمانيون في الأرياف على سند بعض القبائل التي اختلفت تسميتها من مكان إلى آخر، فهناك قبائل المخزن، والعبيد، والزمول والدوابر، إلا انه مهما اختلف وضع تلك القبائل وتسميتها فإنها كانت تعرف كلها بقبائل المخزن[1] .

أما من حيث النشأة، فإن قبائل المخزن، كان يغلب عليها الطابع الفلاحي، في حين كانت قبائل العبيد، والزمول، والدوابر، تقوم بدور عسكري وتمارس نشاطا فلاحيا في أوقات السلم[2].

ثانيا: القبائل المناوئة للسلطة

شهد القرن السابع عشر والثامن عشر ترسيخ السلطة الفعلية للباب العالي على بايلك الغرب، ومع ذلك، استمرت الحملات القبلية في الخروج عن نطاق السيطرة. وكانت القبائل، التي كما رأينا، القوة المهيمنة في البلاد، تتحدى الحكومة باستمرار، التي نادراً ما امتدت سلطتها إلى ما وراء حدود أسوار المدينة. وقد لعب ظهور اتحادات قبلية كبيرة، وقوى هائلة لا يستهان بها، دوراً بارزاً في التاريخ المضطرب للخلافات المحلية. وفي الواقع، اكتسبت "المشيخات" سلطة سمحت لها بالحفاظ على موقف المواجهة الدائمة ضد السلطة العثمانية[3].

ويمكن القول، أن ضمان ولاء هؤلاء الشيوخ، مكنها من السيطرة على القبائل. ومن هذا المنطلق، عملت الإدارة التركية على إضعاف التحالفات القبلية، وتقليص سلطة كبار شيوخ القبائل. وانطلاقا من

---

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص62.

[1] أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519/1830م)**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2005/2006م، ص163.

[2] أرزقي شويتام ، المرجع نفسه، ص 164، 165.

[3] محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792- 1830م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984م، ص 20-25.

المدن، التي كانت مركز سلطتهم، اعتمدت الولاءات السياسية، وسياسة تتراوح بين استخدام القوة واللين. وقد استجابت القبائل لمبادرات الحكومة حتى وصول مدحت باشا[1] الذي دشن، في مواجهة نظام "المشيخات" وعصيان القبائل، سياسة أثبتت فعاليتها الهائلة. وكانت الحملات العسكرية والتحالفات الانتقائية المؤقتة مع بعض شيوخ القبائل تهدف في واقع الأمر إلى كسر الطابع المتجانس في عدائهم للحكومة في مناطق شاسعة لم تمارس فيها أية سلطة دولة لعدة قرون. وأخيرا، كانت سياسة تخصيص الأراضي لتقويض أسس المجتمع القبلي من الداخل هي السلاح النهائي، الذي كانت السلطات تفتقر إليه حتى الآن. واستمرت هذه السياسة على يد جميع الولاة وقد نجح الباب العالي في تحقيق بعض أهدافه، وخاصة في عهد مدحت باشا من تصفية الاتحادات القبلية وإضعاف القبائل بشكل عام. ولكنها لم تتمكن من اقتلاع قيم وعادات مجتمع ظل متأثرا إلى حد كبير بالنزعة القبلية[2].

وكانت الأرض، بطبيعة الحال، دائما موضوع صراعات مريرة في بايلك الغرب وخاصة منطقة السهول الزراعية والسبب الرئيسي للحروب والانتفاضات بين القبائل. وكانت الزراعة في واقع الأمر المهنة الأساسية لغالبية القبائل المناوئة، باستثناء البدو الذين كانت أعدادهم تتناقص بسرعة. إن نمط ملكية الأراضي، ودرجة الاستيطان، وبالتالي اعتماد الأساليب الزراعية الحديثة، والتي كانت تختلف من منطقة إلى أخرى، أدى إلى تفاقم الانقسامات في المجتمع الريفي الذي لم يكن ميالاً إلى الوحدة بالفعل. لقد كانت مشكلة الأرض تحكم ليس فقط العلاقات بين القبائل، بل أيضاً العلاقات بين القبائل

[1] عبد القادر بلغيث، المرجع السابق، ص 57، 58، 60 .

[2] ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص205-208.

من جهة والسلطات المركزية من جهة أخرى، وكذلك العلاقات بين أفراد القبائل أنفسهم والشيوخ الكبار، "شيوخ المشايخ". ولذلك وجدت السلطات العثمانية في استخدام ملكية الأراضي رافعة قوية لتأكيد سيطرتها على المناطق القبلية[1].

والتي غالبا ما يقتصر تاريخها السياسي على دورات من الصراعات والتحالفات بين الجماعات "القبلية" وتاريخها المؤسسي هو في الأساس تاريخ حكم العرف، والمتناقض مع مبدأ جمع الضرائب لدى السلطة العثمانية، وبعبارة أخرى تفاعل سكان الواحات مع المطالب المالية لحاكم بعيد اقتحم وكلاؤه فجأة نظام الإدارة المجتمعية الذي تهيمن عليه مجموعة من وجهاء السكان الأصليين الذين يتمتعون بالحكم الذاتي إلى حد كبير، وبالتالي فالتحدي يكمن في فهم المنطق الداخلي للنظام الاجتماعي السياسي الذي أصبح، بعد نصف قرن من الزمان، عرضة لاختبار الغزو الاستعماري[2].

إنّ تيار القبائل المعارضة والسلطة يتقاسمان مفهوم الفضاء الجغرافي كجزء من العالم حيث لا توجد "الدولة" إلا في شكل اتحادات مجموعات بدوية تتمحور حول قوة أسرية تسمى "الإمارات"، والتي تطورت في سهول وهران وتيارت.

وتمتد حملات الضرائب التي تسميها المصادر الفقهية بالضرائب الشرعية لعدة أشهر، حيث تجوب القوات العثمانية الخيمات المختلفة، وتحدد مبلغا معينا يدفع لكل طائفة، ويتم تحصيل الضرائب

---

[1] نور الدين بودربالة ، **العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792-1830، مقاربة اجتماعية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة تخصص الحوض الغربي للمتوسط تاريخ وحضارة، فرع الدولة العثمانية وغرب المتوسط(1492-1912)، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2019/2018، ص26.

[2] توفيق دحماني، **الضرائب في الجزائر (1206-1282/1792-1865م) دراسة مقارنة**، أطروحة مقدّمة للحصول على شهادة الدكتوراة (غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بن يوسف بن خدة، 2008/2007، ص 90، 91.

على المستوى المحلي بطريقة مماثلة لتلك التي حللها عبد الحميد هنية في حالة الجريد في تونس العثمانية: حيث يكون المجتمع القروي مسؤولاً، من خلال مؤسسة الجماعة، عن تحصيل مبلغ الضريبة المحدد له من أعضائه[1].

إذ يتم قياس الإتاوات بوحدات المثقال، وهو وزن من غبار الذهب، على الرغم من أنها ربما تتعلق في المقام الأول بالمنتجات الزراعية، ولا سيما القمح والشعير، وتأتي في أنواع مختلفة، وأكثرها رمزية ما يسمى بالضيافة ويساعدنا مقتطف من مذكرات رحلة كتبها أحد العلماء المحليين عن إحدى البعثات الاستكشافية في عام 1767 م في توضيح هذه العملية[2].

يعتمد عمل السلطة العثمانية في المنطقة على تحالفات مع وجهاء محليين، وهو ما يسهله وجود العديد من العائلات المرموقة التي تشترك في نفس السلالة الشريفة مع السلاطين، ولا يفشل هؤلاء في الحفاظ على شبكتهم العلائقية من خلال إرسال الهدايا والإكراميات، وتثبت هذه السياسة الزبائنية أنها ذات أهمية أساسية في إجراء الحملات الضريبية، فمن خلال هذه العمليات، يتعاون عملاء البايلك بشكل وثيق مع الأوليغارشية العثمانية وعلى وجه الخصوص القضاة[3].

فالدور النشط الذي يلعبه القضاة في تحصيل الضرائب يتأكد من خلال تحصيلات القضاء وتتعلق العديد من النزاعات بعمليات بيع قسري للممتلكات والأراضي وغيرها، التي يقوم بها قضاة

[1] توفيق دحماني، المرجع السابق، ص 97، 98.

[2] المرجع نفسه، ص199.

[3] معاذ محمد عابدين، قاسم محمد الحموري، "**التزام الضرائب في الدولة العثمانية**"، **دراسة تاريخية شرعية**، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، المجلد 29، العدد 3، أكتوبر 2016، ص260، 261.

الأرياف، من أجل ضمان دفع الضرائب المفروضة على القبائل والأهمّ هو التأكيد على أنّ هذه الضرائب مرخصة رسميا من قبل محامين محليين باسم المصلحة العامة[1].

وأمام هذا العنف، يؤكد فقهاء الأرياف بالبايلك على القاعدة الشرعية التي تقضي بأنه من المناسب اختيار الأقل ضرراً بين الضررين. "فإن من الأفضل أن نجعل تحصيل مقدار الضريبة المستحقة للقصر العثماني، حتى في الحالات التي يتعلق فيها الأمر بالإتاوات غير العادلة وغير القانونية (المغارم الظلميّة)"، بدلاً من تعريض المجتمع "للفساد" أو "الفتنة"[2].

وتجمع حملات الضرائب ثلاثة أطراف رئيسية: وكلاء السلطان العثماني، والأعيان المحليين، والقضاة ومختلف المجتمعات الريفية التي يتحمل أعضاؤها عبء الضريبة. لقد كان التفاعل بين الدولة والنخب المحلية في المجتمعات الريفية للجزائر العثمانية موضوعًا لبعض الأبحاث الرئيسية التي تسلط الضوء على الدور الوسيط الذي يلعبه وجهاء المجتمع في الوساطة التي تتولاها النخب، والتي تبدو، علاوة على ذلك، سمة مشتركة بين المجتمعات ما قبل الحديثة[3].

ثالثا: القبائل الخاضعة للسلطة (القبائل الرعية)

هي عبارة عن تجمعات قبلية مع بعضها، تخضع من جهة لسلطة البايلك، ومن جهة أخرى، تسند مهمة رقابتها ومراقبة فروعها إلى القبائل المصطنعة من طرف السلطة العثمانية والمتمثلة في قبائل المخزن، ولضمان بقائها تجد نفسها مثقلة بتحمل عبء الضرائب المفروضة، طبعا المورد الرئيسي

[1] توفيق دحماني، المرجع السابق، ص164، 165.

[2] توفيق دحماني ،المرجع نفسه، ص74.

[3] أحمد بحري، **ضرائب الجزائر العثمانية من خلال بعض الظهائر المازونية**، المجلة الجزائرية للمحطوطات، ص 15، 16.

للسلطة العثمانية في تموين جيوشها وحملاتها العسكرية، بالإضافة إلى أنها قبائل تضمن مورد تمويني آخر وهي الخيول، بالإضافة إلى الإنتاج الزراعي والحيواني، وممّا جعل هذه القبائل سهلة الخضوع هو موقعها الجغرافي السهل الذي تستطيع الإدارة العثمانية إختراقه، من طرف قبائل المخزن والحاميات العسكرية، لذلك ترتبط هذه القبائل بمجموعة من العلاقات التفاعلية والمتمثلة في ضمان حصولها على أراضي استغلالية من طرف المخزن، مقابل تقديم خدمات للإدارة ودفع الضرائب المفروضة، أما من حيث تنظيمها فكان بايلك الغرب يضعها ضمن جزء إداري يمتد من: التافنة إلى جبال تيارت وفرندة[1].

وتتمركز القبائل الخاضعة للسلطة العثمانية ببايلك الغرب الجزائري في قلعة بني راشد مركز الحامية التركية المكلفة بمراقبة المنطقة والأعراش الساكنة بها، وهي تضم: دواوير الدبة، تليوانت، مصراتة، القلعة، ويلل، وأهم قبائلها نجد:

قبائل عامر:وهي من رعية الباي نفسه، وخارجة عن سلطة آغا الدوائر أو الزمالة، تراجعت القبيلة نحو الجنوب الوهراني ومن أبرز فرقها التي التحقت بخدمة البايلك نجد: أولاد عبد الله، شافع[2]. في حين قسمت منطقة اليعقوبية إلى يعقوبية الشراقة تابعة لمخزن الزمالة، ويعقوبية غرابة تابعة

[1] لويزة عامر ، هاجر صواش ، **القبيلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث (غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2022/2021، ص40.

[2] نور الدين بودربالة المرجع السابق، ص63.

لمخزن الدواير، وأبرز القبائل الغارمة بمنطقة اليعقوبية: صدامة وفروعها، الكسالنة، أولاد عوف، وأولاد خالد[1].

إن ما ميز قبائل الغرب الجزائري طوال فترة الحكم العثماني هو عدم تمكن الإدارة العثمانية من إخضاعها بصفة نهائية، فكلما أخضعتها وصمتها إلى القبائل المخزنية عن طريق القوة، سرعان ما تعود إلى وضعها الأصلي بمجرد شعورها بضعف الإدارة، وذلك ما كان على الإدارة سوى استعمال القوة لإجبارها وإخضاعها، وقد استمرت هذه الظاهرة إلى دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر سنة 1830.

فيما يلي جدول[2] يوضح ويقارن بين مواقف القبائل بباليك الغرب وباقي الباليكات:

طبيعة العلاقة	دار السلطان	باليك التيطري	باليك الغرب	باليك قسنطينة
قبائل مخزنية محاربة	19	09	36	25
مخزنية غير محاربة		05	10	22
قبائل الرعية	11	23	56	14
قبائل حليفة ومتعاونة	20	12	29	25
قبائل مستقلة	23	13	26	138

[1] نور الدين بودربالة المرجع السابق ، ص64.

[2] مبارك الميلي :**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الكتاب العربي، ج2 ، الجزائر ، 2010 ، ص 300.

كقراءة بسيطة لهذا الجدول يتبين لنا الصبغة العسكرية لبايلك الغرب إذ تمركزت به ستة وأربعين 46 قبيلة مخزنية من بينها ستة وثلاثين 36 محاربة. ويمكن القول، إن علاقة السلطة العثمانية بقبائل الغرب الجزائري قائمة على التحالف مع القبائل، أو إخضاعها بالقوة، أو استمالتها بمصالح اقتصادية واجتماعية؛ فالقبائل المتحالفة تمثلت في قبائل المخزن، التي ساهمت في مساعدة حكام البايلك من أجل حفظ الأمن والاستقرار. وأما القبائل الخاضعة فتمثلت في قبائل الرعية وكان دورها تدعيم خزينة البايلك من خلال الضرائب المفروضة عليها، أما الممتنعة فاضطرت السلطة إلى استعمال القوة للحد من نفوذها[1].

خلاصة القول، إن الجهاز الإداري الذي استخدمته السلطة العثمانية في بايلك الغرب لا يختلف عن سائر البايلكات (قسنطينة، التيطري)؛ فالإدارة المحلية للبايلك لها نظم إدارية تمثلت في، مجموعة من الوظائف يقوم بها الباي والموظفين من خليفة وقياد لتسيير شؤون الباي والبايلك، خاصة أن هذا الأخير له خصوصية ميزته عن البايلكات الأخرى وهي الطابع العسكري[2].

كما أن السلطة الفعلية في البايلك في يد القوى القبلية، لذلك قسمنا قبائل الغرب حسب علاقتهم بالسلطة العثمانية؛ إلى قبائل متعاونة والتي كان لها دور هام في حفظ الأمن ودعم خزينة البايلك عن طريق استخلاص الضرائب، على غرار قبائل المخزن والقبائل الحليفة، وقسم آخر خاضع للسلطة

[1] مبارك الميلي :المرجع السابق، ص 301.

[2] لويزة عامر ، هاجر صواش ،المرجع السابق، ص40.

وهي قبائل الرعية التي حملت على عاتقها أعباء تلك الضرائب، وهناك قسم مستقل أو معارض يتمثل في القبائل الممتنعة عن سلطة البايلك.

وبفضل اعتماد الإدارة العثمانية على القبائل المتعاونة استطاعت مد نفوذها إلى مختلف حدود البايلك، كما ساعدها للسيطرة على القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب والقضاء على التمردات التي شهدها البايلك أواخر العهد العثماني كثورة الدرقاوة، و التيجانية.

الفصل الثاني: دور القبائل في العلاقات الخارجية لبايلك

أولا: علاقات بايلك الغرب مع دايات الجزائر وبايلك الشرق والتيطري

ثانيا:علاقات بايلك الغرب مع إسبانيا

ثالثا: علاقات بايلك الغرب مع فرنسا

تمهيد :

يعتبر بايلك الغرب من أهم هذه البايلكات، لما له من أهمية استراتيجية استثنائية. فقد كان يُشكّل خط الدفاع الأول ضد التهديدات القادمة من المغرب الأقصى، ويطل على شريط ساحلي يتصل عبره بالبحر الأبيض المتوسط، ما جعله عرضة للغزوات الأوروبية، خاصة الإسبانية، ومحورًا للتفاعلات التجارية والعسكرية بين الجزائر العثمانية وقوى أجنبية. كما كانت وهران وتلمسان، وهما من أهم مدن هذا البايلك، مسرحًا لصراعات متكررة مع الإسبان والمغاربة، ما منح البايلك موقعًا حساسًا على خارطة التوازنات الإقليمية.

غير أن أهمية بايلك الغرب لم تقتصر على موقعه، بل تعمّقت في طبيعته الاجتماعية المركبة، حيث تميز بتنوع سكاني واضح. في الحواضر الكبرى مثل تلمسان ومعسكر ووهران، استقر موظفو الدولة العثمانية من الأتراك، إلى جانب السكان المحليين من الجزائريين، واليهود، وحتى الأسرى الأوروبيين الذين كانوا يشكلون شريحة ضمن البنية الاقتصادية الحضرية. أما في الريف، فبرزت القبائل باعتبارها الفاعل الأساسي في تشكيل المجتمع، حيث كانت تشكّل وحدة سوسيولوجية قائمة على القرابة والدم والانتماء المشترك، وهي التي استحوذت على الغالبية العددية مقارنةً بسكان المدن[1].

وقد شكّلت هذه القبائل، المنتشرة بكثافة في المناطق الداخلية للبايلك، تحديًا وفرصة في آنٍ واحد للسلطة العثمانية. فمن جهة، كانت القبائل قوة بشرية وعسكرية هائلة، قادرة على حسم المواجهات أو

[1] فتيحة حروجي ، **بايلك الغرب الجزائري حلال العهد العثماني وتطوره فيما بين 1563-1792م**، جامعة وهران، ص193.

الإخلال بالاستقرار، ومن جهة أخرى، لم تكن تخضع بسهولة للسلطة المركزية، بل تمسكت باستقلاليتها التقليدية وولائها العصبوي. ومع انحسار موارد الدولة، خصوصًا مع تراجع "اقتصاد الجهاد البحري" الذي كان يوفر مداخيل مهمة للخزينة، بدأت السلطة العثمانية تبحث عن مصادر بديلة للتمويل والتجنيد، فكان لا بد من الاعتماد على القبائل، ولكن ضمن إطار مدروس يحافظ على التوازن. ولذلك، تبنت السلطة العثمانية، خاصة في بايلك الغرب، سياسة "فرق تسد"، والتي هدفت إلى منع توحد القبائل ضدها، من خلال تقسيمها إلى "قبائل مخزن" موالية، و"قبائل عروش" احتفظت باستقلاليتها أو تمردت أحيانًا. وقد استفادت قبائل المخزن من امتيازات مالية وعقارية مقابل خدماتها، مثل جباية الضرائب، حفظ الأمن، والمشاركة في الحملات العسكرية ضد المتمردين أو القوى الأجنبية[1].

ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث، الذي لا يسعى فقط إلى تتبع العلاقات الخارجية لبايلك الغرب الجزائري في عهد الدايات، بل إلى فهم الدور القبلي في هذه العلاقات، باعتباره عنصرًا محليًا ساهم في تشكيل السياسات والمواقف الخارجية .فالعلاقات لم تكن تُدار فقط من المراكز الإدارية أو عبر البايات، بل كانت تُحسم أحيانًا في مضارب القبائل أو على صهوة الخيل في الجبال والسهول. فالصراع مع المغرب، أو مواجهة الإسبان، أو حتى العلاقات مع السلطة المركزية في الجزائر العاصمة، لم تكن ممكنة دون وساطة أو مشاركة قبلية فاعلة[2].

[1] فتيحة خروجي ، المرجع السابق، ص 193.

[2] فتيحة خروجي ، المرجع نفسه ، ص194.

أولا : علاقة بايلك الغرب مع دايات الجزائر وبايلك الشرق والتيطري

شهدت الجزائر العثمانية خلال القرون 16 إلى 19 نظامًا إداريًا مركزيًا يعتمد على تقسيم البلاد إلى عدة بايلكات أو ولايات، أبرزها بايلك الغرب، بايلك الشرق، بايلك التيطري، إضافة إلى العاصمة التي كانت مركز السلطة تحت حكم الدايات[1]. هذه الوحدات لم تكن منفصلة بشكل تام، بل كانت تتميز بعلاقات سياسية وعسكرية معقدة متشابكة، حيث لعبت القبائل دورًا رئيسيًا في هذه الديناميات.

1: الإطار الإداري والسياسي للبايلك في العهد العثماني

في العهد العثماني، كانت الجزائر مقسمة إلى ثلاث بايلكات رئيسية: بايلك الغرب، بايلك الشرق، وبايلك التيطري .كل بايلك كان يُدار من قبل "باي" يُعيَّن من قبل "الداي" المقيم في الجزائر، ويُعتبر ممثلًا للسلطة العثمانية في منطقته .تُوكل إلى البايات مسؤوليات جمع الضرائب، تنظيم الدفاعات العسكرية، والحفاظ على الأمن الداخلي، مع الحفاظ على الولاء للسلطة المركزية في الجزائر[2].

2: العلاقة مع الدايات في مدينة الجزائر:

***الهيمنة الرمزية والسياسية** :كان الدايات يمثلون السلطة المركزية في الجزائر العاصمة. وكان جميع البايات خاضعون لهم، وفيما يخص الجزائريين كانوا يشكلون أغلب السكان القاطنين في الأرياف والبوادي[3]، بما في ذلك بايلك الغرب. ومع ذلك، كان بايلك الغرب يتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلال

[1] عامر لويزة، صواش هاجر، **القبيلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، إشراف عبد الله مقلاتي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2022/2021، ص36.

[2] عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، د ط، ص 63.

[3] وليم سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص59.

الإداري. ويرجع ذلك، جزئياً لبُعده الجغرافي، ووجود قبائل قوية ترفض الخضوع الكامل للسلطة المركزية. لذلك، كانت السلطة المركزية تعتمد على نظام تحالفات مع الزعماء القبليين في الغرب، الذين كانوا يشكلون الحائط الأول للدفاع ضد التهديدات الخارجية.

* **توازن القوى والاعتماد المتبادل** الدايات كانوا بحاجة إلى دعم قبائل بايلك الغرب للحفاظ على الاستقرار، خصوصًا لأن القبائل كانت تُعَدّ قوة عسكرية كبيرة، وقد وفرت جيوشًا ومحاربين خلال الحروب ضد الاحتلال الإسباني. في المقابل، كان للقبائل مطالب في الحكم الذاتي، والمشاركة في اتخاذ القرارات المحلية، وهو ما شكل مصدر توتر دائم.

***أزمات وتوترات متكررة:** كانت تتطور أحيانا الخلافات إلى نزاعات مسلحة بين الدايات وقبائل الغرب، خاصة عندما حاولت السلطة المركزية فرض ضريبة جديدة أو إرسال قوات لقمع بعض القبائل الرافضة[1]. ومن أشهر هذه النزاعات، الصراعات التي شاهدتها تلمسان والتي كانت مركزًا للسلطة المحلية في الغرب.

كانت العلاقة بين بايلك الغرب ودايات الجزائر تتسم بالتعاون والتوتر في آن واحد .من جهة، كان بايلك الغرب يُعتبر خط الدفاع الأول ضد التهديدات الغربية، خاصة من الإسبان .لذلك، كان يُتوقع من الباي في الغرب تقديم الدعم العسكري والمالي للسلطة المركزية، ومن جهة أخرى، كانت هناك توترات بين البايات في الغرب والدايات في الجزائر العاصمة، خاصة فيما يتعلق بالسلطة والامتيازات،

[1] قشاعي فلة، المرجع السابق، ص 116 .

وعلى سبيل المثال، في القرن الثامن عشر، شهدت الجزائر العاصمة صراعات داخلية بين الدايات والبايات، مما أثر على استقرار السلطة المركزية وتوازن القوى بين البايلكات.

3 : علاقات بايلك الغرب مع بايلك الشرق والتيطري

***التكامل والتنافس:** كان بايلك الشرق وبايلك التيطري، يشكلان مع بايلك الغرب ثلاثية السلطة في الجزائر العثمانية، وذلك على الرغم من التعاون في مواجهة الأعداء الخارجيين، إلا أن هناك تنافسًا على النفوذ السياسي والاقتصادي بينهم. وفي بعض الأحيان، فضل البايات الابتعاد عن القوة والعنف؛ لأنهم كانوا متأكدين من أن اللين والرفق، هو ما سيكسبهم ثقة الرعية، لا العنف والقوة[1].

ونقول، إن بايلك التيطري، الذي يضم العاصمة، كان يمتلك قوة رمزية وعسكرية أكبر بسبب قربه من المركز، بينما بايلك الشرق، كان أكثر تأثرًا بالتهديدات من القبائل الشرقية والقوى إقليمية، كبايلك تونس.

***التحالفات القبلية عبر البايلكات** :كانت هناك تحالفات بين قبائل بايلك الغرب وقبائل بايلك الشرق والتيطري في حالات التهديد الخارجي، مثل الهجمات الإسبانية. هذه التحالفات لم تكن رسمية دائمًا، بل تستند إلى روابط قبلية وطائفية وأحيانًا مصلحية، ما شكل شبكة معقدة من الولاءات المتبادلة[2].

***الصراعات الداخلية وتأثيرها على الاستقرار** : بالرغم من التعاون، كانت الصراعات بين بايلك الغرب وبايلك التيطري تتعلق بالسيطرة على الممرات التجارية وفرض الضرائب، إلى جانب التنافس على

[1] حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تع: محمد العربي البزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2005 ، ص131 .

[2] حمدان بن عثمان، المصدر نفسه، ص132.

السيطرة على قبائل معينة. أدى هذا إلى توترات أضعفت أحيانًا القدرة على التصدي للخطر الخارجي، مثل محاولات الاستعمار الإسباني في الساحل الغربي.

كانت العلاقات بين بايلك الغرب وبايلك الشرق والتيطري تتسم بالتعاون والتنافس .فيما يتعلق بالتعاون، كان هناك تنسيق بين البايات في مختلف البايلكات لمواجهة التهديدات المشتركة، مثل الهجمات الإسبانية أو الفرنسية .على سبيل المثال، في أواخر القرن الثامن عشر، تعاون بايلك الغرب مع بايلك الشرق لمواجهة التوسع الفرنسي في المنطقة.

من جهة أخرى، كانت هناك منافسات بين البايات، خاصة فيما يتعلق بالموارد والسلطة .على سبيل المثال، كانت هناك نزاعات بين بايلك الغرب وبايلك الشرق حول السيطرة على بعض المناطق الاستراتيجية مثل وهران وتلمسان .هذه النزاعات، كانت تُدار غالبًا من خلال الوساطة من قبل الدايات في الجزائر، الذين كانوا يسعون للحفاظ على توازن القوى بين البايلكات المختلفة.

4 : دور القبائل في العلاقات بين البايلكات والسلطة المركزية

***القبائل كقوة سياسية وعسكرية:** القبائل في بايلك الغرب، مثل قبائل بني معسكر، بني منداس، وزواوة، لم تكن فقط تابعة سلبيًا للسلطة، بل كانت مكونًا فاعلًا. هذه القبائل كانت تمتلك جيشًا خاصًا بها، وزعماؤها يتمتعون بنفوذ اجتماعي وسياسي كبير[1]. وبفضل هذا النفوذ، استطاعوا فرض شروطهم على الدايات والولاة المحليين، وأحيانًا التمرد ضد القرارات التي لم تخدم مصالحهم.

[1] عائشة باية، **الأوضاع السياسية في الجزائر في العهد العثماني(1519-1830)، مجلة متون**، المجلد**8**، العدد**4**، جانفي 2017، ص349.

***الوسيط بين السلطة المركزية والسلطة المحلية:** كثيرًا ما لعب زعماء القبائل دور الوسطاء بين السلطة المركزية في الجزائر العاصمة والسلطات المحلية في البايلك، حيث ساهموا في تهدئة النزاعات أو تحفيز التحالفات العسكرية.

***تأثير القبائل على القرارات الخارجية:** قبل اتخاذ أي خطوة عسكرية أو دبلوماسية ضد أعداء خارجيين، كان على الدايات والبايات في بايلك الغرب استشارة زعماء القبائل، الذين كانوا يمتلكون المعرفة الدقيقة بالمنطقة وظروفها، وبذلك كانوا شركاء في صياغة السياسة الخارجية.

و من الأمثلة تاريخية نذكر:

***معركة وهران (1732 و1792)** : شهدت محاولات تحرير وهران من الاحتلال الإسباني دعمًا كبيرًا من قبائل بايلك الغرب، خاصة تحالف قبائل من بني منداس ومن معسكر مع قوات بايلك التيطري ودايات العاصمة. وكان هذا الانسجام مؤقتًا، ولكنه حاسما في إعادة السيطرة على المدينة.

***نزاع الدايات مع قبائل الغرب:** قد شهد أواخر القرن الثامن عشر، اشتداد الخلافات، وذلك عندما حاول الدايات فرض ضرائب جديدة على القبائل، ما أدى إلى اندلاع تمردات مسلحة، كادت أن تهدد استقرار بايلك الغرب، لولا أن تدخلت البايلكات الأخرى، مثل بايلك التيطري ومحاولة الوساطة، وذلك سعيا للتهدئة ووضع حد لثورات القبائل[1].

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص240.

5 : تأثير العلاقات الداخلية على الاستقرار السياسي

تُظهر هذه العلاقات الداخلية بين بايلك الغرب ودايات الجزائر وبايلك الشرق والتيطري أن الاستقرار السياسي في الجزائر العثمانية كان يعتمد بشكل كبير على التوازن بين القوى المحلية والسلطة المركزية .عندما كان هناك تنسيق وتعاون بين البايات والدايات، كان ذلك يُساهم في تعزيز الاستقرار السياسي[1]. أما عندما كانت هناك توترات أو نزاعات، كان ذلك يؤدي إلى ضعف السلطة المركزية وزيادة التهديدات الخارجية.

ثانيا : علاقة بايلك الغرب مع المغرب الاقصي

شكلت الحدود الغربية لبايلك الغرب نقطة التقاء بين الجزائر العثمانية والمغرب الأقصى، وهو ما جعل هذه العلاقة من أكثر العلاقات تعقيدًا وحساسية خلال فترة الحكم العثماني. تميزت العلاقات بين بايلك الغرب والمغرب الأقصى بتفاعل مستمر جمع بين التعاون والصراع، انعكس على السياسة الداخلية والخارجية للجانبين. وقد كان لهذه العلاقة أبعاد سياسية وعسكرية واقتصادية ثقافية، حيث لعبت القبائل المحلية دورًا بارزًا في تحديد طبيعة هذه العلاقة[2].

1 : السياق السياسي والجغرافي

1-1. الموقع الجغرافي الاستراتيجي لبايلك الغرب: بايلك الغرب كان يمثل الوحدة الإدارية الغربية من الإيالة العثمانية في الجزائر، وامتدت حدوده تقريبًا من نهر الشلف شرقًا إلى حدود المغرب الأقصى غربًا، ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالًا حتى مناطق الهضاب العليا جنوبًا. ومن

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص242.

[2] عائشة باية، المرجع السابق، ص351.

أبرز مدنه :وهران، تلمسان، معسكر، مستغانم، وقلعة بني راشد. وهذا الموقع الجغرافي، منح بايلك الغرب أهمية استراتيجية بالغة للأسباب التالية[1]:

***قربه من المغرب الأقصى** جعله دائمًا في حالة تماس مباشر مع السياسات المغربية، ما استوجب مراقبة مستمرة للحدود، وتدخّل متكرر في الشؤون المشتركة.

***وجوده على سواحل البحر المتوسط**، مما جعله هدفًا للقوى الأوروبية، خصوصًا إسبانيا التي احتلت وهران والمرسى الكبير لفترات طويلة.

***موقعه على طرق القوافل التجارية** بين فاس وتلمسان، وبين المراكز الداخلية والساحل، مما جعله مركزًا للتجارة وتبادل البضائع والثقافات.

1-2. الوضع السياسي لبايلك الغرب: من الناحية السياسية، كان بايلك الغرب تحت إشراف باي يُعيَّن من طرف داي الجزائر في العاصمة، وكان يتمتع بقدر من الاستقلال الإداري والعسكري. غير أن قربه من المغرب جعله يتمتع بخصوصية سياسية.

لعب الباي دورًا حساسًا في مراقبة تحركات السلطان المغربي، وخصوصًا في فترات التوتر أو محاولات التوسع من جهة المغرب[2].في المقابل، كان على الباي التعامل مع القبائل الحدودية التي كانت لها علاقات متشابكة مع قبائل داخل المغرب، مما زاد من تعقيد الإدارة المحلية. وكانت السلطة العثمانية تسعى عبر الباي إلى فرض نفوذها ومراقبة أي طموحات مغربية للتدخل في شؤون المنطقة.

[1] عائشة باية، المرجع السابق، ص375.

[2] بختة بن فرج الله ، المرجع السابق، ص30.

1-3. الحدود المشتركة وتداخل المصالح: الحدود بين بايلك الغرب والمغرب الأقصى لم تكن ثابتة بشكل دائم، بل كانت مرنة ومتغيرة حسب الوضع السياسي.ففي فترات السلم، كانت القبائل تتنقل بين المنطقتين لأغراض التجارة أو الزواج أو الحماية. أما في فترات الحرب، كانت هذه الحدود تتحول إلى خطوط صراع، وتُستغل من قبل الطرفين لتأليب القبائل أو إشعال الفتن.

بعض المدن مثل تلمسان كانت مركزًا للنزاع، حيث حاول السلاطين المغاربة السيطرة عليها عدة مرات (كما حصل في عهد السلطان المغربي إسماعيل في القرن 17).

1-4. التنافس العثماني-المغربي : السياق الجغرافي والسياسي أدى إلى علاقة معقدة من:

***التعاون** : كان التعاون إلزاما لمواجهة الخطر الإسباني، خصوصًا في بدايات الاحتلال المسيحي الأوروبي لسواحل بلاد المغرب، ومن ذلك سعي السلطان المغربي لعرقلة الحملة العسكرية الإسبانية على الجزائر عام 1784م، و هذا حتى يتسنى للجزائريين الاستعداد لمواجهتها [1].

***الصراع** : قد وقع ذلك بسبب رغبة مملكة المغرب في التوسّع شرقًا، خصوصًا في فترات ضعف السلطة المركزية في الجزائر، ما أدّى إلى محاولات متكررة للسيطرة على مناطق في بايلك الغرب.

***التوازن والردع** :حافظ الطرفان – العثمانيون في الجزائر والمخزن المغربي – على نوع من التوازن، تجنبًا لحرب شاملة، خاصة وأن كليهما كان منشغلاً بتحديات داخلية وخارجية كبرى.

[1] يحي بوعزيز، **الموجز في التاريخ** ،المرجع السابق،ص 463-465.

2: العلاقات السياسية والدبلوماسية بين بايلك الغرب والمغرب الأقصى

2-1- خلفية تاريخية :العلاقات السياسية بين بايلك الغرب (وهو الجناح الغربي لإيالة الجزائر العثمانية) والمغرب الأقصى (تحت حكم السعديين ثم العلويين) لم تكن ثابتة على وتيرة واحدة، بل تميّزت بتذبذب دائم بين التحالف والتوتر والصراع .ويُعزى هذا التذبذب إلى عدة عوامل:

*التقاء حدود الجانبين في مناطق قبائلية غير محددة بدقة.

*التنافس على السيطرة على مدن إستراتيجية مثل تلمسان.

*التدخلات الأوروبية (إسبانيا تحديدًا)، التي خلقت أحيانًا مصالح مشتركة وأحيانًا أخرى سببت تصدعات في التفاهم بين الجانبين.

2-2.التحالفات ضد الاحتلال الإسباني (العدو المشترك: إسبانيا):منذ القرن السادس عشر، أصبحت إسبانيا تمثّل التهديد الأكبر لكلا الطرفين، إذ كانت تسعى للسيطرة على المدن الساحلية: احتلت وهران عام 1509م والمرسى الكبير لاحقًا، ما جعل بايلك الغرب في حالة دفاع دائم.

في هذا السياق ،نشأت تحالفات مؤقتة بين المغرب الأقصى وبايلك الغرب لمحاربة التوسع الإسباني. ودعم المخزن المغربي، أحيانًا، القبائل الحدودية الجزائرية بالسلاح أو بالرجال لمواجهة الإسبان في وهران. ورغم أن العلاقات بين العثمانيين في الجزائر والعلويين في المغرب كانت متوترة، فإن العدو المشترك (إسبانيا) دفع إلى بعض التنسيق غير الرسمي في مواجهة الخطر المسيحي[1].

[1] يحي بوعزيز ،المرجع السابق،ص 468.

و كمثال تاريخي،في النصف الثاني من القرن 16، دعم المغاربة ثورة الأمير عبد القادر بن إدريس في تلمسان ضد الإسبان، وهو ما لقي ترحيبًا ضمنيًا من بايلك الغرب الذي كان عاجزًا عن طرد الإسبان وحده.

2-3- التنافس على النفوذ في تلمسان

*تلمسان كمركز نزاع تاريخي: مدينة تلمسان كانت تمثل قلب بايلك الغرب ثقافيًا وسياسيًا، ولكنها أيضًا كانت مركزًا رمزيًا وتاريخيًا للمخزن المغربي، خاصة في عهد الدولة السعدية.السلطان المغربي محمد الشيخ السعدي حاول ضم تلمسان إلى النفوذ المغربي في منتصف القرن 16[1] ، بحجة حماية المسلمين من الإسبان، وهو ما اعتبره العثمانيون تهديدًا مباشرًا لنفوذهم.

*حاولات السيطرة المتبادلة:في فترات ضعف السلطة العثمانية، كان المغرب يسعى للتمدد شرقًا بدعم بعض القبائل.وفي المقابل، كان بايلك الغرب يُحكم سيطرته على المدينة تارة بالقوة العسكرية، وتارة من خلال المفاوضات الدبلوماسية مع المخزن. وكمثال تاريخي :في عام 1551، دخل العثمانيون تلمسان مرة أخرى بعد انسحاب المغاربة منها، ما أنهى لفترة طموحات السعديين في المنطقة.

2-4- دور القبائل في السياسة والدبلوماسية

القبائل الحدودية مثل بني سنوس والزوى والعبادلة كانت تُستخدم كوسائط غير رسمية في العلاقات بين بايلك الغرب والمخزن.كان بعض زعماء هذه القبائل يتوسطون في عقد الهدن أو ينقلون الرسائل

[1] توفيق دحماني، المصدر السابق، ص143.

بين الباي والسلطان المغربي. وفي أوقات النزاع، كانت هذه القبائل نفسها مسرحًا للاضطرابات أو أدوات ضغط دبلوماسي.

2-5- فترات التوتر والقطيعة: رغم فترات التفاهم، وقعت مواجهات عسكرية مباشرة بين الطرفين:

-عام 1701، وقعت مناوشات بين قوات المخزن وقبائل موالية للعثمانيين على الحدود.

-عام 1727، اندلع نزاع حول قبائل بني وازنا التي اتهمت بالولاء للمغرب ضد باي معسكر.

3 : التبادل التجاري والاقتصادي بين بايلك الغرب والمغرب الأقصى

3-1- عوامل ازدهار التبادل التجاري

أ .الموقع الجغرافي والطرق التجارية: بايلك الغرب يقع عند مفترق طرق بين المغرب الأقصى ووسط الجزائر، ما جعله جسرًا للعبور التجاري.كان ممر تازة الرابط بين فاس وتلمسان أحد الممرات الحيوية لعبور القوافل المحملة بالبضائع. كما ساعدت الطبيعة الجغرافية المتنوعة (سهول، جبال، طرق صحراوية) في تعدد طرق التجارة، وخصوصًا بين تلمسان وفجيج، فاس، وسجلماسة[1].

ب .استقرار الأسواق المحلية : مدن مثل تلمسان ومعسكر ومستغانم كانت تشتهر بأسواقها الكبيرة، التي جذبت التجار من المغرب. تلمسان بالخصوص كانت سوقًا إقليمية لكل من الجزائر والمغرب، وكانت تعرف بـ"قُطْب القوافل."

[1] عبد الله شريط و مبارك الميلي، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي**،ط2، م.و.ك، الجزائر،1985م،ص187 .

ج .**تشابك العلاقات القبلية:** العديد من القبائل المنتشرة على الحدود (مثل أولاد نهار، بني سنوس، الشعانبة) كانت تمارس التجارة كوسيلة معيشية وتتوسط بين التجار في الجزائر والمغرب.

كانت هذه القبائل تؤمّن الطرق التجارية وتحصل بالمقابل على امتيازات أو حصص من البضائع.

3-2_طبيعة السلع المتبادلة

أ .**الصادرات من المغرب الأقصى إلى بايلك الغرب:** نذكر منها،القطن والصوف(منتجات فلاحية وصناعية من فاس ومراكش)، والتوابل والقهوة والسكر(تدخل من ميناء الصويرة، وتُشحن عبر فاس نحو الجزائر)، و كذلك الأقمشة التقليدية(خصوصًا الصوفية والحريرية التي كانت تُعد رمزًا للجودة المغربية)،إضافة إلى الجلود المدبوغة والمواد الصبغية (كالقَرْمَز) التي كانت تستخدم في الصناعات الجلدية والحرفية في الجزائر.

ب .**الصادرات من بايلك الغرب إلى المغرب الأقصى:** منها الحبوب (قمح، شعير) :و التي كان يتمتع بها بايلك الغرب بإنتاج زراعي مهم في السهول مثل سهل غريس،. و الملح من مستغانم وتلمسان. والخيول وأحيانًا البنادق والبضائع الأوروبية المهربة خصوصًا من مستغانم أو من مناطق تصلها البضائع القادمة من جبل طارق. والعلك وريش النعام وجلود الغزال، و الجلابيب و البراقيع وغيرها[1].

[1] محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1972، ص175-176.

ج .**الواردات من أوروبا عبر جبل طارق:** تتمثل في البنادق والرصاص والبارود كانت تأتي من أوروبا إلى المغرب أو الجزائر وتُتاجر عبر الحدود. والزجاج والمصنوعات المعدنية المستوردة من الموانئ الإسبانية أو الإنجليزية.

3-3-الأسواق المركزية للتبادل :

أ .تلمسان: كانت العقدة الاقتصادية التي يتقاطع فيها التجار المغاربة والجزائريون.احتوت على "سوق القصبة" و"سوق الجمعة" و"السوق الكبير"، حيث كانت تُباع البضائع القادمة من فاس وسجلماسة. شُهرت بـ"موسم تلمسان"، وهو موسم تجاري سنوي تقليدي يشبه المعارض.

ب .فجيج وبشار وتندوف: مثلت نقاطًا تجارية مهمة في حركة القوافل القادمة من الجنوب نحو الشمال، بما في ذلك تجارة الذهب، التمور، والملح.

3-4- الآثار الاقتصادية والاجتماعية لهذا التبادل :

أ .توفير السلع الأساسية للمجتمع المحلي: أسهم التبادل في توفير احتياجات السكان في المدن والريف من سلع خارجية دون الاعتماد الكامل على الموانئ، خاصة بعد تناقص عوائد الجهاد البحري[1].

ب .دور القبائل في الوساطة والتأمين : كانت بعض القبائل تُكلف بحماية القوافل مقابل أجر أو امتيازات. و بعض الزعماء القبليين أصبحوا تجارًا كبارًا بسبب تحكمهم في الطرق الحدودية.

[1] نادية طرشون، جمال يحياوي،سهيل الخالدي، **الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الإحتلال** ،دط ،دار هومة، 2001، ص 97.

ج .تعزيز الترابط الثقافي : أدت حركة التجار بين الجزائر والمغرب إلى تبادل اللهجات، اختلاط العائلات، بل وتطابق بعض العادات بين سكان غرب الجزائر وشرق المغرب.

3-5- التحديات والقيود : في فترات التوتر السياسي أو الحرب، كانت التجارة تتقلص أو تُفرض عليها ضرائب إضافية.وأحيانًا كانت السلطة العثمانية أو المخزن يصادران القوافل المشتبه فيها بتهريب السلاح. لكن في المجمل، ظل التبادل التجاري وسيلة للتهدئة وبناء الثقة بين الطرفين.

4: التحديات الأمنية المشتركة

واجهت بايلك الغرب تحديات أمنية مشتركة مع المغرب الأقصى، خاصةً من الاحتلال الإسباني ، و كانت مدن وهران والمرسى الكبير نقاطًا ساخنة للصراعات العسكرية، حيث حاولت القوات الإسبانية السيطرة عليها، مما دفع العثمانيين والمغاربة إلى التعاون في بعض الأحيان لمواجهة هذا التهديد المشترك[1] .على الرغم من ذلك، كانت هناك فترات من التوتر والتنافس بين الجانبين على النفوذ في المنطقة.

5:دور القبائل في العلاقات الثنائية

لعبت القبائل في بايلك الغرب دورًا مهمًا في تشكيل العلاقات مع المغرب الأقصى .كانت بعض القبائل تتحالف مع العثمانيين، بينما كانت أخرى تميل إلى التعاون مع المغاربة، مما أضاف طبقة من

[1] Ben Hounet, l'Algérie des tribus, le fait tribal dans la haut Sud-ouest Algérien contemporain, thèse nouveau rigime en vue de l'obtention du doctorat en anthropologie, Source précédente, p26.

التعقيد للعلاقات الثنائية .تُظهر الدراسات أن هذه التحالفات كانت غالبًا مدفوعة بالمصالح المحلية والاعتبارات الأمنية[1].

6: التأثير الثقافي والديني بين بايلك الغرب والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني

6-1.المشترك الثقافي والحضاري

أ. **الأصل الأندلسي والمغاربي المشترك** : كلا الطرفين، المغرب الأقصى وبايلك الغرب، ورثا الإرث الأندلسي من حيث التقاليد المعمارية، وأنماط اللباس، والموسيقى، والفكر الديني. بعد سقوط الأندلس في نهاية القرن 15، هاجر عدد كبير من الأندلسيين المسلمين واليهود إلى المغرب وتلمسان ووهران، حاملين معهم ثقافتهم، ما ساهم في خلق وحدة ثقافية مغاربية.

ب. **اللغة واللهجة:** تشابهت اللهجات المحلية في الغرب الجزائري (وهران، تلمسان، ندرومة) مع لهجات شرق المغرب (وجدة، فجيج، بركان . حتى يومنا هذا، توجد ألفاظ وتراكيب لغوية مشتركة، تعكس التداخل الاجتماعي والثقافي الذي بدأ منذ العهد العثماني، بل وقبله[2].

6-2.التأثير الديني والعلمي

أ. وحدة المذهب والعقيدة : اعتمدت الجزائر والمغرب المذهب المالكي كمرجعية فقهية، ما عزز من التنسيق الديني بين علماء الجانبين.كما ساد المنهج الأشعري في العقيدة، والتصوف السنّي كإطار روحي مشترك.هذه الوحدة المذهبية والدينية سهّلت تنقل العلماء بين المغرب وبايلك الغرب، خصوصًا في مواسم الحج أو عند اضطراب الأوضاع في أحد الطرفين.

[1] نادية طرشون، جمال يحياوي،سهيل الخالدي، المرجع السابق، ص 103.

[2] نادية طرشون، جمال يحياوي،سهيل الخالدي، المرجع نفسه، ص 105.

ب. الزوايا والطرق الصوفية : لعبت الزوايا دورًا مركزيًا في تعزيز الروابط، مثل:

✓ **زاوية سيدي بومدين** في تلمسان، كانت تستقبل الزوار من المغرب بانتظام.

✓ **الطريقة التيجانية** التي ظهرت في عين ماضي (الأغواط) وامتدت إلى فاس، خلقت شبكة صوفية واسعة عبر الحدود.

✓ **الزاوية القادرية والزاوية الدرقاوية** أيضًا كان لهما نفوذ في غرب الجزائر وشرق المغرب.

مثال تاريخي :تشير بعض الوثائق إلى أن فقهاء من فاس درّسوا في مدارس تلمسان مثل الجامع الكبير وزاوية الهامل، مما يدل على التواصل العلمي والديني العميق.

6-3.التأثير المعماري والفني :

أ. الطراز المعماري المغربي-الأندلسي : اتبعت مساجد ومدارس بايلك الغرب الطرز المغربية الأندلسية، خصوصًا في المدن القديمة مثل تلمسان ووهران وندرومة،عناصر معمارية واضحة مثل:الأقواس الحدوية والمفصصة،الزليج المغربي (الخزف المزخرف)،المنابر الخشبية المحفورة بدقة على النمط الفاسي،نمط الحدائق الداخلية (في بعض المنازل والمساج)[1]، و كأمثلة لذلك :

✓ **مسجد سيدي الهواري في وهران يحمل خصائص معمارية مغربية.**

✓ **الجامع الكبير بتلمسان** فيه زخارف شبيهة بجامع القرويين بفاس.

ب. المدارس والكتاتيب: شجعت الروابط الدينية على تأسيس كتاتيب ومدارس قرآنية بنفس المناهج التي كانت تُدرّس في المغرب. كان هناك تبادل في المخطوطات، والفتاوى، وكتب الفقه والتفسير.

[1] جون بي وولف، **الجزائر وأوروبا**، تر: سعد الله أبو القاسم، الجزائر، 1986، ص 23.

6-4- المناسبات والممارسات الاجتماعية المشتركة:

بعض المناسبات الدينية والاجتماعية مثل المولد النبوي وعاشوراء كانت تُحتفل بها بنفس الطريقة في المغرب الأقصى وغرب الجزائر، كما انتشرت الحضرات الصوفية، والمدائح، وقراءة البردة بطريقة متشابهة. وانتشار بعض الأطباق التقليدية المشتركة (مثل الكسكس والزفيطي والحريرة) يعكس تأثيرًا ثقافيًا متبادلاً [1].

6-5. دور القبائل في تعزيز الروابط الثقافية والدينية: القبائل الحدودية كانت تنقل عاداتها وشيوخها وشعرها الشعبي بين الضفتين. بعض الأنساب القبلية كانت مشتركة (مثل أولاد نهار وأولاد علي، وبني سنوس)، ما ساهم في ترابط اجتماعي ثقافي طويل الأمد.

ثالثا :علاقة بايلك الغرب مع اسبانيا

مثّلت العلاقة بين بايلك الغرب الجزائري وإسبانيا أحد المحاور الحيوية في تاريخ العلاقات الخارجية لإيالة الجزائر العثمانية، وخصوصًا في ظل الصراع القوي الذي نشب بين القوى الإسلامية في المغرب الكبير والإمبراطوريات المسيحية الأوروبية بعد سقوط الأندلس. وقد كانت إسبانيا، باعتبارها القوة الأوروبية المسيحية الأولى التي احتلت أجزاءً من شمال إفريقيا، العدو التقليدي والمباشر لبايلك الغرب، خاصة بسبب احتلالها المبكر لمدن ساحلية مهمة كوهران والمرسى الكبير، و قد امتدت هذه العلاقة لعقود من المواجهات العسكرية، التوترات السياسية، وحالات محدودة من الهدنة[2].

[1] صبرينة الواعر، "**الغزو الإسباني للمدن والموانئ الجزائرية وهران والمرسى الكبير نموذجا (1505-1792م)**"، المدرسة العليا للأساتذة آسيل جبار، قسنطينة (الجزائر)، المجلد**04**، العدد**01** ، مارس **2020**، ص 35.

[2] صبرينة الواعر، المرجع السابق، ص 35.

1 : الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير (1505–1792م) :

يمثّل احتلال إسبانيا لكلٍّ من المرسى الكبير (1505 (ووهران (1509 (أحد أبرز التحولات التاريخية التي مستّ التوازنات السياسية في غرب الجزائر خلال بدايات العصر الحديث. فقد شكّل ذلك جزءًا من مشروع إسباني صليبي أوسع للتمدد في شمال إفريقيا، يُنظر إليه باعتباره استمرارًا لحروب "الاسترداد (Reconquista) "بعد سقوط الأندلس[1].

أ. الغزو الإسباني: دوافع وأبعاد

أ–1. الدوافع السياسية والعقائدية: بعد سقوط غرناطة عام 1492، اتجهت إسبانيا الكاثوليكية بقيادة الملكين فرديناند وإيزابيلا إلى تصدير "الانتصار الصليبي" خارج حدود الأندلس.و كانت شمال إفريقيا، وبخاصة المناطق الساحلية مثل وهران والمرسى الكبير، أهدافًا استراتيجية لعدة أسباب:

- ✓ لمنعها من أن تكون ملجأ للمسلمين المطرودين من الأندلس.
- ✓ لقطع الطريق على القراصنة المسلمين الذين كانوا يغيرون على السواحل الإسبانية.
- ✓ لتأمين الملاحة في غرب المتوسط.

أ–2.**الدعم البابوي:** حصلت إسبانيا على فتاوى بابوية تبيح لها شنّ حملات عسكرية ضد "الكفار" في شمال إفريقيا، مما أعطى الغزو طابعًا دينيًا واضحًا[2].

[1] صبرينة الواعر، ، المرجع السابق، ص 37.

[2] جون بي وولف، المرجع السابق، ص 25.

أ-3.**العملية العسكرية:** بدأت الحملة سنة 1505 باحتلال المرسى الكبير، وهو ميناء صغير لكنه محصن طبيعيًا، ويصلح كمركز تموين بحري. بعد أربع سنوات فقط، وبسهولة نسبية، سقطت وهران في يد الإسبان سنة 1509، نتيجة تفرق المقاومة المحلية، وضعف الحاميات، وتحالف بعض القبائل المضادة للسلطة الزيانية[1].

ب. أهمية وهران والمرسى الكبير

ب-1-أهمية المرسى الكبير: كان ميناءً عسكريًا شديد التحصين، بفضل موقعه الصخري، وكان يُعدّ قاعدة بحرية حيوية. و قد استغلت إسبانيا هذا الميناء في إرساء أسطولها البحري بالمنطقة الغربية من البحر المتوسط، ومراقبة تحركات السفن الإسلامية، و تأمين طرق التجارة الإسبانية-الأفريقية[2].

ب-2.أهمية وهران: تعتبر مركز تجاري وزراعي وديني، وميناء هام يربط الداخل (تلمسان ومعسكر) بالساحل، و قد اشتهرت بأسواقها وتجمعاتها السكانية التي ضمت العلماء، التجار، والصناع.وكانت تُعدّ نقطة ربط استراتيجية بين الجزائر والمغرب الأقصى، ومن يفوز بها يستطيع التأثير في توازن القوى المغاربية ، ومن الناحية العسكرية، كانت تعتبر الحلقة المركزية في أي مشروع توسعي غربي في المنطقة[3].

---

[1] نجيب دكاني، **الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية حلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي**، مذكرة ماجيستر، جامعة الجزائر، 2002، ص22.،

[2] أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة ، لبنان، 1992، ص78-79.

[3] الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص96-97.

ج. انعكاسات الاحتلال الإسباني على المنطقة

ج-**1**.التحولات السياسية: أدى الاحتلال إلى سقوط السلطة الزيانية في وهران، ما أفسح المجال لاحقًا لتدخل العثمانيين في تلمسان ووهران. كما أدى إلى تراجع النفوذ الإسلامي في شمال غرب الجزائر لعدة عقود.

ج-2.**أثره على القبائل:** انقسمت القبائل المحيطة بوهران إلى:

✓ قبائل متعاونة مع الإسبان لأسباب اقتصادية أو عداء للزيانيين.

✓ قبائل مقاومة، خاصة تلك التي ستتعاون لاحقًا مع العثمانيين مثل بني عامر، أولاد سيدي الشيخ، وبعض فروع بني سنوس[1].

ج-3.**الاستيطان الإسباني:** حاولت إسبانيا فرض ثقافة مسيحية على المدينة من خلال تحويل بعض المساجد إلى كنائس.أقامت حاميات عسكرية، وجلبت مستوطنين أوروبيين، مما خلق توترا دينيا وثقافيا مستمرًا مع السكان المسلمين.

ج-4.إضعاف التجارة المحلية: بفعل الحصار المفروض، والضرائب الإسبانية، تراجعت التجارة في وهران، وهاجر كثير من التجار نحو تلمسان ومستغانم[2].

د. **مقاومة الاحتلال الإسباني** : مع قدوم العثمانيين إلى الجزائر عام 1516، بدأت حملات التحرير.

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص09.

[2] الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص10.

و من أبرز المحاولات، حملة خير الدين بربروس في 1530 التي فشلت. و حملة مصطفى بوشناق سنة 1708التي حررت وهران لفترة قصيرة. و كذلك الحملة الحاسمة كانت بقيادة الباي محمد بن عثمان الكبير عام 1792–1791، والتي أنهت الوجود الإسباني نهائيًا بعد 283 عامًا[1].

2 : موقف السلطة العثمانية وبايلك الغرب من الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير

2–1: الخلفيـة التاريخيـة : بعد دخول الإخوة عروج وخير الدين بربروس الجزائر عام 1516، وانضمام الجزائر رسميًا إلى الدولة العثمانية سنة 1518، أصبحت مسألة طرد الإسبان من السواحل الغربية هدفًا رئيسيًا ضمن سياسة الدولة العثمانية في المغرب الأوسط. وقد تولت إيالة الجزائر (العاصمة) إلى جانب بايلك الغرب مسؤولية مواجهة الوجود الإسباني في وهران والمرسى الكبير.

2: الحملات العسكرية العثمانية:

2–1.حملات خير الدين بربروس وحسن باشا: بربروس حاول مهاجمة وهران أكثر من مرة في ثلاثينيات القرن 16، لكنه لم ينجح بسبب تحصين المدينة ووجود أسطول إسباني قوي في البحر . ابنه حسن باشا، والي الجزائر لاحقًا، قاد محاولات أخرى خاصة في منتصف القرن 16، لكنه اصطدم بواقع معقد جدا، و هو دعم إسباني قوي من الداخل الأوروبي، و وجود حاميات صليبية مدججة بالسلاح، و كذلك تواطؤ بعض القبائل المحلية مع الإسبان أحيانًا[2].

[1] Berbrugger A, "reprise d'Oran par les Espagnoles en 1732", In Revue Africaine, Vol 08, 1864, p20

[2] الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص19.

2-2.فشل التحرير المبكر: رغم محاولات العثمانيين، بقيت وهران والمرسى الكبير تحت السيطرة الإسبانية لفترة طويلة، باستثناء فترات قصيرة من الهدوء أو ضعف الاحتلال[1].

3: المراحل الزمنية للاحتلال الإسباني

* **المرحلة الأولى (1509–1708)** : سيطر الإسبان على وهران والمرسى الكبير لأكثر من قرنين. كما شكلت المدينتان رأس حربة استراتيجية لإسبانيا في شمال إفريقيا. و كانتا مركزًا لضرب التحركات العثمانية في الغرب الجزائري[2].

* **الاستثناء المؤقت (1708–1732)** :في فترة ضعف إسبانيا بسبب حرب الوراثة الإسبانية، استغل الباي مصطفى بوشناق هذا الظرف ونجح في تحرير وهران سنة 1708 **و** بقيت المدينة في يد العثمانيين لأكثر من 20 سنة.

* **العودة الإسبانية (1732–1792)** : عام 1732، استعاد الإسبان وهران بقوة كبيرة قُدّرت بـ 30 ألف جندي و300 سفينة. وبقيت المدينة مرة أخرى تحت الحكم الإسباني حتى 1792[3].

4: دور بايلك الغرب في التحرير النهائي: يُعتبر الباي محمد بن عثمان الكبير من أبرز قادة بايلك الغرب في القرن 18.فبفضل خبرته العسكرية وتحالفاته القبلية القوية، قاد حملة ناجحة ضد الإسبان سنة **1791–1792**، وطرد الإسبان نهائيًا من وهران والمرسى الكبير، منهيًا الاحتلال الذي دام قرابة 283 عامًا. بعد هذا الانتصار، أعاد تنظيم المدينة وفتحها أمام التجارة والعمران.

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792م**، الجزائر، دار الغرب البصائر للنشر والتوزيع،1985، ص 105.

[2] أبي القاسم بن حوقل ، المرجع السابق، ص40.

[3] خروجي فتيحة، المرجع السابق ، ص205.

5: تقييم الموقف العثماني : رغم أن العثمانيين أظهروا اهتمامًا بتحرير وهران والمرسى الكبير منذ الأخرى (خاصة مع الصفويين والنمساويين)، جعلت من هذا الهدف مؤجلًا طويلًا.

لكن في النهاية، كان النصر جزائريًا عثمانيًا بقيادة محلية من بايلك الغرب، وهو ما يعكس تطور القوة المحلية داخل الإيالة الجزائرية[1].

6 : الحملات العسكرية والصراع الدائم

أ. حملات الاسترجاع: في عام 1708، وبقيادة الباي مصطفى بوشناق، تمكنت قوات بايلك الغرب من استرجاع وهران من الإسبان مستغلين انشغال إسبانيا بالحرب الأوروبية الكبرى (حرب الوراثة الإسبانية) ، لكن إسبانيا عادت واستعادت المدينة عام 1732.

ب. حملة محمد الكبير: في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير، وبدعم من الداي في الجزائر، شن حملة حاسمة سنة 1791 أدت إلى طرد الإسبان نهائيًا من وهران في 1792. وتمثل هذه الحملة أوج القوة العسكرية لبايلك الغرب، وتحقيق أحد أكبر أهدافه الوطنية [2].

7 : العلاقات السياسية والدبلوماسية

كانت العلاقات بين بايلك الغرب وإسبانيا عدائية في معظمها، لكنها عرفت فترات هدنة مؤقتة، خاصة عندما كان كلا الطرفين يواجه تهديدات خارجية أخرى.و لم يكن هناك تمثيل دبلوماسي دائم، ولكن

[1] الهوارية بطيب، **منهجية يحيى بوعزيز من حلال كتاباته التاريخية (المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد نموذجا) (1798/1780)**، محبر البحوث الإجتماعية والإنسانية،جامعة معسكر، العدد **01**، 2011م، ص117.

[2] أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص424-425.

وُجدت مفاوضات عبر وسطاء في بعض الأحيان لتبادل الأسرى أو تسوية أوضاع التجار الإسبان في المدن الجزائرية[1].

8 : أسرى الحرب الإسبان

وقع آلاف الأسرى الإسبان في قبضة الباي خلال المعارك، وكانوا يُستخدمون في الأشغال العامة (كحفر الآبار وبناء التحصينات) ، كرهائن للمقايضة في عمليات التبادل. و قد وجد حي يُعرف بحي الأسرى في بعض المدن (مثل مستغانم ووهران)[2].

5 : دور القبائل في مقاومة الاحتلال الإسباني في بايلك الغرب

5-1: مقدمة حول الطبيعة القبلية في بايلك الغرب : تميّز بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني بوجود كثيف وقوي للقبائل، التي شكّلت العمود الفقري للنسيج الاجتماعي والعسكري للمنطقة. ومع وجود الاحتلال الإسباني لمدن استراتيجية مثل وهران والمرسى الكبير ، لم يكن الصراع بين العثمانيين والإسبان مقتصرًا على الجيوش النظامية، بل انخرطت فيه بقوة القبائل المجاهدة التي كان لها دور بارز في المقاومة[3].

[1] أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص426.

[2] خروجي فتيحة، المرجع السابق، ص195-196.

[3] أسماء الشريفي، **دور قبائل الغرب في تحرير وهران (1711-1792م)**، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، كاية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم الثاريح، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريح، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، 2024/2023، ص28.

5-2: دوافع مشاركة القبائل

5-2-1.الدافع الديني والجهادي:رأت القبائل في الاحتلال الإسباني تهديدًا لـ"دار الإسلام"، ولذلك شاركت بدافع ديني في طرد "النصارى الغزاة." كثير من مشايخ الزوايا وأعيان القبائل أفتوا بوجوب الجهاد ضد الإسبان، مما شجع التجنيد القبلي[1].

5-2-2.**الدافع الاقتصادي والسيادي:** الاحتلال الإسباني قطع طرق التجارة، واستولى على الأراضي الخصبة المحيطة بوهران. أرادت القبائل الحفاظ على سيادتها على الأرض ومصادر الرزق.

كانت القبائل تخشى تحول الإسبان إلى سلطة ضرائبية أو قمعية دائمة في المنطقة.

5-3: أبرز القبائل المجاهدة وأدوارها

أولاد سيدي الشيخ: من أقوى القبائل في الجنوب الغربي للجزائر. و قد ساهمت في تموين الجيوش العثمانية بالمواد الغذائية والإبل، تأمين القوافل العسكرية المتجهة نحو وهران من مناطق بشار وتاغيت،عمليات الكرّ والفرّ ضد الإسبان في محيط وهران[2].

.أولاد نائل: قبيلة كبيرة تنتشر في الهضاب العليا (الجنوب الشرقي لبايلك الغرب) . وقد شاركت في، إرسال المجاهدين إلى الجبهات، تأمين الخطوط الخلفية للجيش العثماني، المساهمة في حملات الإمداد بالخيول والتموين.

[1] أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص423.

[2] أسماء الشريفي، المرجع السابق، ص38.

بني عامر: قبيلة معروفة بوجودها القوي في مناطق سعيدة ومعسكر.عرفت بولائها لمحمد بن عثمان الكبير، والي بايلك الغرب.قامت بعمليات مباشرة ضد الحاميات الإسبانية حول وهران.ساعدت في حصار وهران الأخير 1791–1792 الذي أنهى الوجود الإسباني[1].

4: أدوار عسكرية ولوجستية متكاملة

أ .**العمليات القتالية:** القبائل كانت تشكل القوة غير النظامية للجيش، تتقن حرب العصابات والمباغتة.استخدمت الكمائن والتضاريس ضد تحركات الإسبان في المناطق الجبلية المحيطة بوهران.

ب .**الإمداد والنقل:**وفرت القبائل الإبل والدواب والمؤن. كما أقامت محطات تموين للجيش في طريقه نحو السواحل.

ج .**الدفاع الداخلي:** في غياب الجيش المركزي، كانت القبائل تتولى الدفاع عن القرى والمدن الخلفية من الهجمات الإسبانية أو المتعاونين معهم.

5: نتائج مساهمة القبائل

بدون دعم القبائل، ما كان للجيش العثماني أن ينجح في الحفاظ على خطوطه أو تحرير وهران. و لهذا تعززت مكانة بعض القبائل لدى السلطة، فتم ترقيتها إلى قبائل "مخزن "(أي القبائل الموالية للدولة، المكلفة بجمع الضرائب وحفظ الأمن). كما حصلت بعض القبائل على أراضٍ وامتيازات بعد تحرير وهران كمكافأة على مشاركتها[2].

[1] أسماء شريفي، **دور قبائل الغرب في تحرير وهران**، المرجع السابق، ص 29.

[2] أسماء شريفي، المرجع السابق، ص33.

6 : النتائج والتأثيرات

تحررت وهران والمرسى الكبير نهائيًا عام 1792، ما أدى إلى، تعزيز مكانة بايلك الغرب سياسيًا داخل الإيالة الجزائرية، وتحوّل وهران إلى مركز إداري وتجاري متطور، و تأكيد ضعف إسبانيا في المنطقة وابتعادها التدريجي عن شمال إفريقيا[1].

ثالثا :علاقة بايلك الغرب مع فرنسا

مثّلت منطقة بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني أحد المحاور الاستراتيجية ذات الأهمية السياسية والعسكرية البالغة، نظرًا لموقعها الجغرافي المحاذي للبحر الأبيض المتوسط من جهة، والمغرب الأقصى من جهة أخرى، وهو ما جعلها محط اهتمام قوى استعمارية أوروبية، وعلى رأسها فرنسا. فالعلاقات بين فرنسا وبايلك الغرب لم تنشأ فجأة مع الاحتلال العسكري الفرنسي للجزائر سنة 1830، بل سبقتها اتصالات تجارية واحتكاكات بحرية ومفاوضات دبلوماسية، كانت تعكس في مجملها طموحات فرنسا الاستعمارية ورغبتها في بسط نفوذها على هذه المنطقة الحيوية.وقد اتخذت هذه العلاقة طابعًا متوترًا وغير مستقر، إذ شهدت محطات من التبادل التجاري في فترات السلم[2]، ومواجهات عسكرية مباشرة خلال فترات النزاع، خاصة مع تفاقم الأزمة بين دايات الجزائر والقنصلية الفرنسية في السنوات الأخيرة من الحكم العثماني. وفي الوقت الذي بدأت فيه فرنسا تحاول فرض هيمنتها من خلال الأدوات الاقتصادية والدبلوماسية، كان بايلك الغرب يشكل جبهة قوي للممانعة

[1] يحيى بوعزيز، **مدينة وهران عبر التاريخ**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009م، 62.

[2] جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا 1830/1619م**، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين، رقم الإيداع 1813، 2007، ص129.

والمقاومة، حيث انطلقت منه أبرز حركات الجهاد الشعبي ضد الاحتلال الفرنسي، مثل مقاومة الأمير عبد القادر وانتفاضات القبائل الكبرى كأولاد سيدي الشيخ وبني عامر[1].

كما تجسدت العلاقة بين فرنسا وبايلك الغرب في صراع طويل الأمد حول السيادة، الأراضي، والولاء القبلي، وهو ما انعكس على المسار التاريخي والسياسي للمنطقة برمتها. وعليه، فإن دراسة هذه العلاقة تُعد مفتاحًا لفهم ديناميكيات الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وطبيعة التفاعلات بين السلطة العثمانية والفرنسيين من جهة، وبين السكان المحليين وواقع الاستعمار من جهة ثانية[2].

1: السياق التاريخي والجغرافي

الجغرافيا الاستراتيجية: يُعد بايلك الغرب أحد الأقاليم الإدارية الثلاثة الكبرى في إيالة الجزائر العثمانية (إلى جانب بايلك الشرق وبايلك التيطري)، وكان يشمل منطقة واسعة تمتد من مدينة الشلف شرقًا إلى الحدود المغربية غربًا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالًا حتى تخوم الصحراء الكبرى جنوبًا.

أبرز المدن التابعة له:

- ✓ **وهران** :مركز اقتصادي وتجاري ساحلي.
- ✓ **معسكر** :عاصمة بايلك الغرب الإدارية.
- ✓ **تلمسان** :مدينة ذات وزن ديني وثقافي عريق.
- ✓ **مستغانم وسعيدة** :ذات أهمية زراعية وعسكرية.

[1] بكار محمد، "**التدخل الفرنسي في الجزائر العثمانية في ظل الإمتيازات**"، المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 05، العدد 01، جويلية 2021م، ص 495.

[2] بكار محمد، المرجع السابق، ص496.

وقد منح هذا الامتداد الجغرافي الواسع بايلك الغرب مكانة استراتيجية فريدة، لعدة أسباب:

✓ **إطلالته على البحر المتوسط** :مما جعله منفذًا بحريًا مهمًا، وساحة مواجهة بحرية بين الأساطيل الجزائرية والأوروبية، خصوصًا الفرنسية والإسبانية[1].

✓ **تجاوره مع المغرب الأقصى** :جعله مركزًا للتواصل، وفي بعض الفترات للصراع، بين الإيالة العثمانية وسلطنة المغرب.

✓ **طبيعته الجغرافية المتنوعة** :من سهول زراعية خصبة (مثل سهل وهران ومستغانم)، إلى مرتفعات ومعاقل جبلية صعبة الاختراق (كجبال الظهرة)، ما وفر بيئة ملائمة للمقاومة المسلحة لاحقًا.

✓ **السياق التاريخي:** منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، كانت فرنسا تسعى إلى توسيع تجارتها ونفوذها في شمال إفريقيا، لا سيما في الجزائر، التي كانت في نظرها موقعًا حيويًا لحماية مصالحها الاقتصادية والبحرية في غرب المتوسط. ورغم وجود احتكاكات بحرية وتجارية بين الطرفين، فقد ازداد اهتمام فرنسا تحديدًا بمنطقة الغرب الجزائري لأسباب متعددة:

✓ **وفرة المنتجات الزراعية** (كالقمح والشعير) في سهول الغرب الجزائري، ما جعل فرنسا تعتمد عليه كمصدر أساسي للتموين، خاصة خلال فترات القحط في أوروبا[2].

✓ **الفراغ الأمني بعد تراجع القرصنة البحرية** :حيث بدأت فرنسا تفكر في السيطرة المباشرة بدل الاعتماد على التجارة والاتفاقيات.

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص36.

[2] الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص38.

✓ ضعف السيطرة العثمانية المركزية في السنوات الأخيرة قبل الاحتلال، خصوصًا مع بروز الصراعات الداخلية وتراجع "الجهاد البحري"، ما جعل فرنسا ترى في المنطقة فرصة سانحة للتوسع[1].

الأهمية الاستراتيجية لبايلك الغرب في الحسابات الفرنسية: كانت فرنسا تدرك أن السيطرة على بايلك الغرب تعني:

1.تأمين الجناح الغربي للجزائر والسيطرة على طرق التجارة الداخلية.

2.عزل الجزائر عن المغرب الأقصى الذي كان تاريخيًا مركزًا محتملًا للدعم أو التحالف مع المقاومة الجزائرية.

3.احتلال وهران والمرسى الكبير، مما يمنح فرنسا قواعد بحرية متقدمة تطل على أهم ممرات البحر المتوسط.

4.امتلاك قاعدة لتوسيع المشروع الاستعماري شرقًا نحو العاصمة وغربًا نحو المغرب[2].

2: بدايات الاحتكاك بين بايلك الغرب وفرنسا قبل الاحتلال

الخلفية السياسية والدبلوماسية قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830، كانت العلاقات بين فرنسا وبايلك الغرب تتميز بتداخل معقد بين التعاون والاحتكاك، نتيجة المصالح المتعارضة بين الدولة

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992، ص85.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص88.

العثمانية التي كانت تسيطر على الجزائر من خلال نظام البايلات، والقوى الأوروبية التي كانت تتوسع في البحر المتوسط[1].

كانت فرنسا منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، تسعى لتوسيع نفوذها التجاري والسياسي في شمال إفريقيا، وخصوصاً في المناطق الغربية من الجزائر، التي تُشكّل بايلك الغرب قلبها، وذلك لأسباب اقتصادية وعسكرية واستراتيجية.

الاتصالات التجارية وتبادل المنافع :كانت هناك علاقات تجارية بين مدن بايلك الغرب (مثل وهران وتلمسان) والموانئ الفرنسية على البحر الأبيض المتوسط. تبادل السلع مثل الحبوب، الصوف، والمنتجات الزراعية التي كانت تصدر من الجزائر إلى فرنسا، وفي المقابل كانت فرنسا تصدر إلى الجزائر الأقمشة، الأسلحة، والبضائع المصنعة.هذه التجارة لعبت دورًا مزدوجًا؛ فبالرغم من أنها شكلت رابطًا للتعاون بين الطرفين، إلا أنها كانت في الوقت ذاته مدخلاً لزيادة النفوذ الفرنسي في المنطقة، عبر تأمين مصالح التجار الفرنسيين، وحماية السفن الفرنسية في موانئ الغرب الجزائري[2].

.**الاحتكاكات البحرية** : كانت منطقة البحر الأبيض المتوسط مسرحًا للصراعات البحرية بين الجزائر (تحت الحماية العثمانية) والدول الأوروبية، بما فيها فرنسا.

فالجزائر كانت معروفة بأسطولها البحري القوي الذي كان يمارس "الجهاد البحري" أو القرصنة المنظمة ضد السفن الأوروبية، وهو ما أدى إلى توترات مستمرة مع فرنسا التي رأت في ذلك تهديدًا مباشرًا لمصالحها البحرية.هذه التوترات أدت إلى عدة مواجهات بحرية، فرضت فرنسا من خلالها

[1] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص89.

[2] الشيح لكحل، **الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر خلال القرن 16**، جامعة غرداية، 2013، ص 05.

حصارًا على بعض الموانئ، وضغطًا دبلوماسيًا متزايدًا على بايلك الغرب لإيقاف القرصنة ودفع تعويضات[1].

.الأزمات الدبلوماسية والقنصلية

شهدت العلاقات بين بايلك الغرب وفرنسا عددًا من الأزمات القنصلية، التي كانت تعكس عمق الخلافات السياسية والاقتصادية، وأحيانًا الثقافية.

من أبرز هذه الأزمات كانت تلك التي شهدتها مدينة وهران، حيث وقع خلاف حول حقوق التجار الفرنسيين وامتيازاتهم، وكذلك حول تصرفات بعض القناصل الفرنسيين الذين تدخلوا في الشؤون المحلية. وتفاقمت الأزمة عندما رفضت السلطات العثمانية في الجزائر الاعتراف ببعض المطالب الفرنسية، ما زاد من التوتر وأدى إلى استدعاءات متبادلة للسفراء، وإجراءات عقابية متقطعة، مثل إغلاق بعض الموانئ أمام السفن الفرنسية[2].

الدوافع الفرنسية للتوسع: جاءت هذه الاحتكاكات ضمن سياق أوسع لطموحات فرنساالاستعمارية، ففرنسا كانت تعاني أزمات داخلية واقتصادية جعلتها تبحث عن منافذ جديدة للاستثمار والتوسع.

السيطرة على بايلك الغرب كانت استراتيجية لحماية مصالحها في البحر المتوسط، ومنع أي تهديد قد يأتي من تحالف بين الجزائر والمغرب الأقصى أو قوى أوروبية منافسة مثل إسبانيا.بالإضافة إلى ذلك، كانت فرنسا ترى في الجزائر قاعدة مثالية لمشروعها الاستعماري في شمال إفريقيا، وهو ما دفعها إلى زيادة الضغوط على السلطة العثمانية.

[1] الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص06.

[2] جمال قنان ، المرجع السايق، ص 133.

3: بداية التوترات الحقيقية – من القمح إلى المدافع

الخلفية الاقتصادية والسياسية: لحادثة القمح في بداية القرن التاسع عشر، كان بايلك الغرب يُعتبر منطقة زراعية حيوية داخل إيالة الجزائر العثمانية، حيث أنتجت سهوله وواجهاته كميات كبيرة من الحبوب، لا سيما القمح والشعير، التي كانت تصدر بشكل منتظم إلى أوروبا، وخاصة إلى فرنسا. هذه الصادرات الزراعية كانت مصدر دخل مهم للسلطة المحلية، ولها دور جوهري في دعم الاقتصاد الجزائري المحلي، خصوصًا في ظل تراجع عائدات الجهاد البحري، التي كانت تقود جزءًا كبيرًا من تمويل الدولة العثمانية في الجزائر.لكن التصدير إلى فرنسا لم يكن مجرد تجارة عادية، بل كان مرتبطًا بعلاقات دبلوماسية واقتصادية دقيقة، حيث كانت فرنسا تستورد القمح من بايلك الغرب لتعويض نقص في مواردها الغذائية، لا سيما في سنوات المجاعات والاضطرابات التي شهدتها أوروبا[1].

.حادثة المروحة الشهيرة (1827) :

بلغ الخلاف ذروته في 29 أبريل 1827، خلال اجتماع في ديوان الداي حسين، حيث تعمّدت حادثة حصلت على إثرها مواجهة رمزية حاسمة،فأثناء المشادة الكلامية بين الداي حسين والقنصل دوفال، تعرض الأخير لإهانة عندما ضربه الداي بمروحة خشبية على يده، مما تسبب في كسرها[2].

هذه الحادثة، التي عُرفت لاحقًا بـ"حادثة المروحة"، تم تأويلها في باريس كإهانة خطيرة للدبلوماسية الفرنسية.اعتبرتها فرنسا ذريعة مناسبة لتصعيد النزاع، إذ استغلت الحادثة لرفع مستوى الضغط السياسي والدبلوماسي على الجزائر[3].

[1] محفوظ رموم، **الإحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية**، جامعة أدرار، ص55.

[2] محمد قن، **الداي حسين ياشا والأزمة الجزائرية الفرنسية (1827/1830م)**، مجلة التراث، العدد 25، جامعة الجلفة ، ص175.

ردود الفعل الفرنسية واستغلال الحادثة:

لم تقتصر ردود فعل فرنسا على الاحتجاجات الدبلوماسية فحسب، بل تحولت إلى خطة مدروسة لاستغلال هذه الحادثة كذريعة لشن حملة عسكرية،فقد رأت فرنسا، التي كانت تعاني من مشاكل داخلية واقتصادية وتريد توسيع نفوذها في شمال إفريقيا، أن هذه الحادثة تفتح الباب أمام تحرك عسكري .تخلل ذلك تحركات لوجستية وتحالفات مع بعض القوى الأوروبية، خاصة بريطانيا التي لم تعارض التدخل الفرنسي في الجزائر.**و** أُعدّت حملة بحرية وبرية ضخمة، بقيادة الأمير شارل في عام 1830، لغزو الجزائر، بدأت بالاستيلاء على مدينة عنابة ثم العاصمة الجزائرية. أهمية الحادثة في السياق التاريخي : حادثة المروحة لم تكن السبب الوحيد للاحتلال الفرنسي، لكنها كانت الشرارة التي أشعلت فتيل الغزو .إذ كانت هناك أسباب أخرى متراكمة، منها ضعف السلطة العثمانية المركزية في الجزائر، وتدهور الاقتصاد المحلي. ورغبة فرنسا في حماية مصالحها الاقتصادية، وتأمين ممراتها البحرية في المتوسط. و كذلك التنافس الأوروبي على النفوذ في شمال إفريقيا، لكن الحادثة وفرت للحكومة الفرنسية، في زمن كانت فيه الرأي العام والسياسة متأثرة بحملات دعائية قوية، المبرر الشرعي لتدخل عسكري[1].

[3] محمد قن، المرجع السابق، ص176.

[1] يحيى بوعزيز، **علاقات الجزائر الحارجية مع دول وممالك أوروبا (1830/1500م)**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1985م،ص126.

4: الاحتلال الفرنسي ومحاولة التوغل في بايلك الغرب

بعد احتلال العاصمة الجزائر سنة 1830، بدأت فرنسا حملة توسعية باتجاه بايلك الغرب، الذي ظل في تلك المرحلة تحت سلطة البايات المحليين مثل محمد بن عثمان الكبير وخلفائه[1].

5: المقاومة الشعبية ضد فرنسا في بايلك الغرب

.**الأمير عبد القادر**:أنشأ دولة إسلامية حديثة ذات تنظيم عسكري وسياسي انطلاقًا من معسكر وتلمسان. و أنشأ "دائرة المخزن" التي ضمّت القبائل المتحالفة معه، واستطاع توحيد جزء كبير من الغرب الجزائري. كما واجه جيوش الاحتلال الفرنسي في عدة معارك كبرى(مثل معركة المقطع، وسيق، وتافرة).

.**دور القبائل:** القبائل في بايلك الغرب كانت العمود الفقري للمقاومة، من خلال:

توفير المجاهدين، حراسة الطرق، تمويل المجهود الحربي، التخطيط والتجسس ونقل الأخبار.

. **قبائل أولاد سيدي الشيخ:** بعد هزيمة الأمير عبد القادر، واصلت هذه القبائل مقاومة فرنسا في الجنوب الغربي (من 1864 إلى 1881) ورفضت الإدارة الاستعمارية وحاولت فرض سيادتها على المنطقة بقوة[2].

[1] عثمان بن حمدان حوجة، المصدر السابق، ص166.

[2] محمد قن، المرجع السابق، ص07.

خلاصة الفصل:

لقد برز دور القبائل في بايلك الغرب كعنصر محوري في تشكيل العلاقات الخارجية للبايلك، حيث كانت القبائل ليست مجرد فاعلين محليين داخليين بل لاعبًا استراتيجيًا مؤثرًا في السياسة الإقليمية والعلاقات الدولية. ففي إطار العلاقات مع الدايات وباقي البايلكات مثل بايلك الشرق والتيطري، لعبت القبائل دورًا مزدوجًا؛ فهي من جهة دعمت السلطة العثمانية المركزية في الحفاظ على الاستقرار والهيمنة، ومن جهة أخرى شكلت قوة ضاغطة قادرة على خلق توازنات أو أزمات حسب مصلحتها، ما دفع السلطة إلى اعتماد سياسات مدروسة كالتحالف والتفريق بينها.

أما على المستوى الخارجي، فقد كانت العلاقة بين بايلك الغرب والمغرب الأقصى مميزة، إذ ارتبطت هذه العلاقات بشبكة معقدة من التبادل التجاري والثقافي، والتنسيق العسكري أحيانًا، خصوصًا في مواجهة التحديات الاستعمارية أو النفوذ الأوروبي المتنامي. كانت القبائل، في هذا السياق، حلقة الوصل التي جمعت بين الطرفين وأسهمت في تدعيم الحدود وحماية المصالح المشتركة.

وعلى صعيد العلاقات مع القوى الأوروبية، فقد عرفت علاقة بايلك الغرب بإسبانيا صراعات مستمرة، تجلت في الاحتلالات الإسبانية لمدن استراتيجية مثل وهران والمرسى الكبير، حيث انخرطت القبائل في مقاومة هذا التمدد عبر حملات عسكرية ودعم متواصل للسلطة العثمانية في استعادة السيطرة، مما عكس قوتها العسكرية والتنظيمية وأهميتها في الدفاع عن الوطن.

أما علاقة بايلك الغرب مع فرنسا، فقد اتسمت بالتوتر والتصادم منذ بداية التدخل الفرنسي في شمال إفريقيا، حيث شكلت القبائل ركيزة أساسية في المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي ومحاولات

السيطرة على الأراضي، لكنها في الوقت ذاته شهدت تغييرات اجتماعية واقتصادية عميقة فرضتها السياسة الاستعمارية التي حاولت تقويض الدور القبلي وتحويل البنية الاجتماعية لصالح المصالح الاستعمارية.

في الختام، يمكن القول إن القبائل في بايلك الغرب لم تكن فقط عنصرًا محليًا داخليًا، بل كانت لاعبًا فعالًا في العلاقات الخارجية للبايلك، إذ ساهمت في صياغة السياسات الإقليمية، والدفاع عن السيادة، ومواجهة التحديات الاستعمارية، مما يجعل فهم دورها ضرورة أساسية لفهم تاريخ العلاقات الخارجية للجزائر العثمانية في غرب البلاد.

خاتمة

نستنتج من خلال ما قدمناه في مذكرتنا القبائل والسلطة في بايلك الغرب خلال عهد الدايات

أولا: استخدمت السلطة العثمانية في بايلك الغرب جهاز إداري لم يختلف عن الإدارة المحلية في باقي البايلكات، فقد كانت منظمة كل حسب وظيفته لتسيير شؤون البايلك بالإضافة تميز بايلك الغرب بالطابع العسكري.

ثانيا: قسمت القبائل في بايلك الغرب الجزائري حسب علاقتها بالسلطة الحاكمة في البايلك من بينها القبائل المتعاونة التي كانت تقدم دور كبير في جمع الضرائب لتموين خزينة البايلك وأيضا قبائل الرعية التي تحملت الضرائب المجحفة بالإضافة إلى قبائل الممتنعة التي تعارض السلطة وأيضا قبائل المخزن.

ثالثا: اعتمدت السلطة العثمانية بشكل كبير على القبائل المتعاونة معها التي قدمت المساعدة لها في جمع الضرائب واستطاعت بسط نفوذها في مختلف الجهات البايلك.

رابعا: لعبت القبائل دور بارزا في ربط العلاقة بين البايلكات والسلطة المركزية في الجزائر وذلك من خلال أنها تمثل قوة سياسية وعسكرية استطاعت فرض نفوذها على الدايات والحكام المحليين، وقد مثلت الوسيط بين السلطة العثمانية في الجزائر والسلطة الحاكمة في البايلكات

بالإضافة إلى تأثيرها على القرارت الخارجية من خلال الدبلوماسية في العلاقات أو إتخاذ قرارات عسكرية للدفاع عن البلاد ودليل على ذلك تحرير وهران من الإحتلال الإسباني سنة 1732م و 1792.

خامسا: لعبت القبائل دورا بارزا في بايلك الغرب وذلك من خلال اعتبارها العنصر الأساسي تشكيلها علاقات خارجية مع العديد من الدول من بينها المغرب الأقصى التي كانت العلاقة معه تتروح بين الصراع والتوتر تارة وبين الهدوء والسلم التي تميزت بالتبادل التجاري في الجانب الإقتصادي وأيضا الثقافي وذلك من خلال هجرة العلماء والطلبة بين البلدين وأيضا التعاون العسكري في بعض الأحيان.

سادسا: يمكن القول إن القبائل في بايلك الغرب لم تكن فقط عنصرًا محليًا داخليًا، بل كانت لاعبًا فعالًا في العلاقات الخارجية للبايلك، إذ ساهمت في صياغة السياسات الإقليمية والدفاع عن السيادة ومواجهة التحديات الاستعمارية، مما يجعل فهم دورها ضرورة أساسية لفهم تاريخ العلاقات الخارجية للجزائر العثمانية في غرب البلاد.

قائمة المصادر

والمراجع

أولا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ. المصادر:

1. الزهار أحمد الشريف ، مذكرات نقيب أشراف الجزائر1830-1945م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

2. الوزان الفاسي حسن بن محمد، وصف افريقيا، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

3.المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز،ج1، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1990.

4. خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تعريب: محمد العربي الزبيري، ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2005 .

ب. المراجع:

1. الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مجموعة01، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

2. الزبيري محمد العربي، التجارة الحارجية لشرق الجزائر1792-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984م.

3. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، دار الغرب، الجزائر،1985.

4. الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الكتاب العربي،ج2، الجزائر،2010.

5. العجل بشري حسني، الخراج والضريبة المعاصرة في الفقه الإسلامي المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الدراسات الإسلامية والشريعة، جامعة لبنان، 2006م.

6. الغدامي عبد الله، القبيلة والقبائلية هويات مابعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، ط2، 2009.

7. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م، د ط، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1997م.

8. بورقية رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

9. بوعزيز يحيى، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة والنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009م.

10. بي وولف جون، الجزائر وأوروبا، ترجمة: سعد الله ابو القاسم، الجزائر، 1986م.

11. طرشون نادية، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الإحتلال، د ط، دار هومة،2001 .

12. لكحل الشيخ، الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر خلال القرن 16م، جامعة غرداية،2013.

13. سبنسر ويليم، الجزائر في عهد رياس البحر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

14. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية، الجزء 01، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992م.

15. سعيدوني ناصر الدين، الجزائر في التاريخ العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985.

16. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، ط2، دار البصائر، الجزائر ، 2009م.

17. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، د ط، دار هومة، الجزائر، 2012م.

18. قنن محمد، الداي حسين باشا والأزمة الجزائرية الفرنسية (1827-1830م)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1985م.

19. قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، رقم الإيداع 1813، 2007م.

20. شريط عبد الله، الميلي مبارك، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والإجتماعي، ط2، الجزائر.

ج. المجلات والمقالات:

1. باية عائشة، الأوضاع السياسية في الجزائر في العهد العثماني (1519-1830م)، مجلة متون، المجلد08، العدد 04، جانفي 2017.

2. بكار محمد، التدخل الفرنسي في الجزائر العثمانية في ظل الإمتيازات، المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، المجلد 05، العدد 01، جويلية 2021م.

3. بحري أحمد، ضرائب الجزائر العثمانية من خلال بعض الظهائر المازونية، المجلة الجزائرية للمخطوطات.

4. محمد السعيد عقيب، عمر لمقدم، قبائل المحزن ودورها في علاقة السلطة العثمانية بالسكان (إيالة الجزائر)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، مجلد 09، العدد 02، 2018.

5. مصطفى خروس، القبائل المحلية تحت سلطة الخيمة العثمانية وصناعة التخلف، مجلة العلوم وافاق المعارف، مجلد03، العدد01، 2023م.

6. معاد محمد عابدين،إلتزام الضرائب في الدولة العثمانية، دراسة تاريخية شرعية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، المجلد 29،العدد 03، أكتوبر 2016م.

7. ناصرالدين سعيدوني، دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر، مجلة الأصالة ، العدد 11.

8. عقاد سعاد، الجماعات الفلاحية والسلطة العثمانية في الجزائر (1519-1830م)، دار السلطان نموذجا، مجلة المرآة، محبر الدراسات المغاربية، النخب وبناء الدولة الوطنية، جامعة وهران 01 أحمد بن بلة، جوان 2007م.

9. صبرينة الواعر، الغزو الإسباني للمدن والموانئ الجزائرية وهران والمرسى الكبير نموذجا (1505-1792م)، المدرسة العليا للأساتذة آسيل جبار، قسنطينة، الجزائر، المجلد04، العدد01، مارس 2020م.

10. فارس كعوان، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر،مجلة مدارات تاريخية، المجلد 01، عدد خاص، 2019م.

11. شبلي ربيعة، مزي عبد القادر، السلطة والقبيلة من خلال كتاب المقدمة لعبد الرحمن إبن خلدون، الساورة للدراسات الإنسانية والإجتماعية، العدد 06، 2017م.

د. الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. أسماء الشريفي، دور قبائل الغرب في تحرير وهران (1711-1792م)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ.

2. الشيخ لكحل، الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر خلال القرن 16م، جامعة غرداية.

3. بودربالة نورالدين، العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792-1830م، مقاربة إجتماعية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص الحوض الغربي للمتوسط تاريخ وحضارة، فرع الدولة

العثمانية وغرب المتوسط (1492-1912م)، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة معسكر، 2019/2018م.

4. بطيب الهوارية، منهجية يحيى بوعزيز، من خلال كتاباته التاريخية (المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد نموذجا) 1780-1798م، مخبر البحوث الإجتماعية والإنسانية، جامعة معسكر، العدد 01، 2011م.

5. بلغيث عبد القادر، الحياة السياسية والإجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجيستر في تاريخ الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014م.

6. دحماني توفيق ، الضرائب في الجزائر 1792-1865م، دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة للحصول على شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة يوسف ين خدة،2007-2008م.

7.دغموش كاميليا، قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيسترفي التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2013م.

8. كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية

والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013/2012م.

9. عامر لويزة، القبيلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والأجتماعية،جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، 2022/2021م.

10. خروجي فتيحة، بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني، وتطوره في مابين 1563-1792م، جامعة وهران.

11. محفوظ رموم، الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية، جامعة أدرار.

12. قشاعي فلة، النظام الضريبي في الريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، أطروحة مفدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1983م.

13. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006/2005م.

ثانيا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

أ. المصادر:

1. Walsin Esterhazy:De la domination turque dans l'ancienne régence d'alger.

ب. المراجع:

1. Ben Hounet, l'Algérie des tribus, le fait tribal dans la haut Sud-ouest Algérien contemporain, thèse nouveau rigime en vue de l'obtention du dpctorat en anthropologie, EHESS, Paris, 2006.

2. Berbrugger A, "reprise d'Oran par les Espagnoles en 1732", In Revue Africaine, Vol 08, 1864.

3. L.Feraud.lettre arabes de l'epoque de l'occupation Espagnole en Algerie.in R.A, 1873,n° 17.

4. Lahouari Add, Le système de pouvoir en Algérie, son origine et ses évolutions, Confluences Méditerranée Année : 2020.

فهرس المحتويات

الشكر والعرفان

إهداء

ملخص الواسة

مقدمة ..... أ-ج

الفصل الأول: موقف القبائل من السلطة وأثره على الأوضاع الداخلية 26

أولا: القبائل الموالية للسلطة(قبائل المخزن) 26

ثانيا: القبائل المناوئة للسلطة 32

ثالثا : القبائل الخاضعة للسلطة(القبائل الرعية) 36

الفصل الثاني: دور القبائل في العلاقات الخارجية لبايلك الغرب 43

أولا : علاقات بايلك الغرب مع دايات الجزائر وبايلك الشرق والتيطري 45

ثانيا : علاقة بايلك الغرب مع إسبانيا 50

ثالثا : علاقة بايلك الغرب مع فرنسا 71

خاتمة **83**

قائمة المصادر والمراجع

ملخص الواسة

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

بالعربية :

يُعدّ بايلك الغرب من أبرز الوحدات الإدارية في الجزائر العثمانية نظرًا لموقعه الاستراتيجي غرب البلاد، حيث شكل خط الدفاع الأول ضد التهديدات الإسبانية والمغربية، وأشرف على شريط ساحلي مهم يربطه بالبحر المتوسط. امتاز بتنوعه السكاني، إذ ضم الأتراك والجزائريين واليهود والأسرى الأوروبيين، كما لعبت القبائل الريفية دورًا محوريًا في المجتمع ضمن سياسة "فرق تسد" التي انتهجتها الدولة العثمانية لضمان السيطرة .تميزت علاقات بايلك الغرب بالسلطة المركزية وباقي البايلكات (الشرق والتيطري) بطابع معقد يجمع بين التعاون والتنافس، خاصة في مواجهة الأخطار الخارجية. أما العلاقة مع المغرب الأقصى، فقد كانت متقلبة بين الصراع والتعاون، نتيجة التداخل الحدودي والمصالح المشتركة، لا سيما في منطقة تلمسان، حيث كان للقبائل الحدودية دور وساطة مؤثر، وساهم التبادل الثقافي والتجاري في توطيد الصلات رغم التوترات .أما على صعيد العلاقة بين سكان الريف والسلطة العثمانية، فقد اعتمد الحكم على تقسيم القبائل إلى أربع فئات: المخزن المتعاونة، الرعية الخاضعة، الحليفة، والممتنعة المعارضة. ورغم اعتماد السلطة على وجهاء القبائل ونظام المخزن لبسط نفوذها خارج المدن وجمع الضرائب، ظلت المناطق الريفية خارج السيطرة الكاملة، وشهدت العلاقة بين الدولة والقبائل توترًا مستمرًا بين الخضوع والمواجهة.

In English :

Beylik of the West was one of the most prominent administrative units in Ottoman Algeria due to its strategic location in the western part of the country. It served as the first line of defense against Spanish and Moroccan threats and oversaw an important coastal strip that connected it to the Mediterranean Sea. The region was characterized by its diverse population, which included Turks, Algerians, Jews, and European captives. Rural tribes played a central role in society within the framework of the "divide and rule" policy adopted by the Ottoman state to maintain control. The relationships between the Beylik of the West and both the central authority and the other beyliks (East and Titteri) were complex, marked by both cooperation and rivalry, especially in facing external threats. As for relations with Morocco, they fluctuated between conflict and cooperation due to border overlap and shared interests, particularly in the Tlemcen region, where border tribes played a mediating role. Cultural and commercial exchanges contributed to strengthening ties despite recurring tensions. Regarding the relationship between the rural population and the Ottoman authority, governance relied on dividing the tribes into four categories: cooperative (makhzen), subject (ra'iyya), allied, and opposing (resistant). Although the state relied on tribal leaders and the makhzen system to extend its influence beyond urban centers and collect taxes, rural areas remained largely beyond full control. The relationship between the

state and the tribes was marked by ongoing tension, alternating between submission and confrontation.